RE

Princeton University Library

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

اثر الومیض

فی نفی الجبر و التفویض

تالیف

العبد الفقیر الی ربه الغنی

مرتضی بن رضی الدین الموسوی

عفی عنهما

الشهیر

مستبنط فروی

حق چاپ محفوظ

بهاء ۱۵ ریال

تبریز - چاپ سانترال

M. ibn R. al-D. Mustanbit Gharoxi

اثر الوميض
فی نفی الجبر و التفویض

بسم الله الرحمن الرحیم

الحمدلله الذی شرح صدورنا للاسلام و لم یجعله ضیقا حرجاً کانما یصعد فی السمآء و اراد ان یهدینا الی الایمان بالله والملئکة والنبیین و یوم اللقاء ولم یختم علی قلوبنا ختام ضلال و شقاء و ثبتنا علی القول . الثابت فی دار البقاء و نزع ما فی صدورنا من غل و عناء فالحمدلله الذی هدانا لهذا و ما کنا لنهتدی لولا ان هدانا الله والصلوة والسلام علی خیر من انزل الیه الکتاب و اوتی من ربه الحکمة و فصل الخطاب البرزخ- الجامع بین الوجوب و الامکان و الثمرة الحاصلة من وجودها الا فلاك والارکان و علی اهل بیته مشاعل اعلام الهدایة والایمان و شموس فلك الولایة والعرفان .

و بعد فیقول العبد الفقیر الی ربه الغنی مرتضی بن رضی الموسوی- الشهیر بالمستنبط الغروی عفی عنهما لما کان مسئلة الجبر و التفویض من المسائل العظیمة فی الاسلام والمباحث المهمة بین جمهوز اهل الکلام بحیث تحیرت فیها العقول والافهام وترددت فیها الظنون والاوهام وتشتتت

2212
.6915
.366
Copy 2

فيها العقايد والاقوال من الاجلة والاعلام و تفرقت فيها المذاهب والارآء من حكماء الاسلام لظهور المعارضة بين الحجج والبينات للرد والاحكام و شيوع المناقضة بين الادلة والايات للنقض و الابرام فاستظهر كل مأخذاً و مطلبا و اختار كل مسلكا و مذهباً* فصار و افرقاً و شعاباً* و كانوا شيعاً واحزاباً* وكل حزب بما لديهم فرحون وهم فى عذاب البعد عن الحق مشتركون الا من اتى الله بقلب سليم عن ظلمة الشرك وظلم عظيم (١) و انى منذ اشتغالى بتعلم اصطلاحات الحكمة العالية واسمائها و تحفظ مسائلها و ابوا بها كنت بفضل الله ومنه سائراً فى طريق الحكمة والعرفان سيراً معنويا و حاجاً الى بيت العلم والايقان حجاً قلبياً و طائفاً حول كعبة الايمان بالله والملئكة و النبيين واليوم الاخر طوافاً فطرياً وعاملا فى مناسك الحق عملا فكرياً حتى وقفت بحمدالله على خزائن بعض الاسرار واطلعت على معادن بعض الجواهر المكنونة فى قلوب عباده الاطهار ولكن ما وجدت فى نفسى باعثاً على الاظهار والاعلان بل رأيت الخير و الصلاح فى السكوت و الكتمان لما شاهدت فى طبايع اهل الزمان من القصور والنقصان والحسد والعدوان والجهالة والطغيان المخلوقة لحكمة قضائية و مصلحة قدرية بها ينتظم حيوة الانسان و يتعذر بدونها العمران اللازم فى معيشة عباد الله فى مواطن الدنيا من الممالك والبلدان و لم يزل حالى هذا الى ان قضى الروح الاجل الموعود فى اصلاح قواه المتمردة و سار باهله من القوى الدراكة والمنفعلة انس من جانب طور القدس ناراً قدسية فقال لاهله امكثوا انى انست ناراً لعلى اتيكم منها بخبر كشفى اوجذوة

(١) قولنا ظلمة الشرك اشارة الى القول بالتفويض وقولنا ظلم عظيم اشارة الى القول بالجبر

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
32101 022775553

جاذبة من نار شوقية لعلكم تصطلون فلما اتيها وتوجه اليها بشراشرهممه توجهاً ذانياً نودی من شاطئی الواد الايمن وشامخ الصقع الاعلی فی البقعة المبارکة والحضرة الواحدية من الشجرة الفياضة ان يا ايها السائر فی طريق الحق الخائف من انين الخلق الق مافی يمينك من الانانية التی تتوکؤ عليها و تزعم انك تهش بها غنم ضعفك و لك فيها مآرب اخری و اظهرها اجيدو الهم اليك من ربك ولا تخف من حسد الحاسدين و جحود الجاحدين فانه لايخاف لدی المرسلون فاسلمت النفس و اطاعت کلمةالله و تشمرت لاظهار ما وصل اليها من اسرار آيات القران و حقايق آثار ائمة الحکمة والعرفان بصيح البرهان وصريح الکشف والعيان من غير تقليد واستحسان مبتدئة بمسئلة الجبر و الاختيار فی افعال العباد من الاخيار والاشرار لکونها من غوامض مسائل الکلام و منزال اقدام الاعلام و عليه التوکل و به الاعتصام

فنقول فی بيان المقصود بعون الله واجب الوجود ان محل النزاع فی هذه المسئلة ان الافعال الارادية الصادرة من العباد هل هی واقعة بقدرة الله تعالی و علمه و مشيته و ارادته بحيث يستحيل التمرد عنها و الانلزم الانقلاب و التخلف من دون تأثير قدرة العبد و ارادته فيها اصلا و هذا جبر محض کماذهب اليه رئيس الاشاعرة الشيخ ابوالحسن الاشعری ومن تبعه وفيهم ورد ماروا جماعة من علماء الاسلام انه قال (ص) لعنت القدرية علی لسان سبعين نبياً قيل و من القدرية يا رسول الله قال قوم يزعمون ان الله سبحانه قدر عليهم المعاصی و عذبهم عليها و کذا ماروا صاحب

الفایق محمود الخارزمی و غیره من العلماء عن محمدبن علی المکی باسناده قال ان رجلا قدم علی النبی(ص) فقال له رسول الله(ص) اخبرنی باعجب شئی رایته قال رایت قوماً ینکحون امهاتهم و اخواتهم و اذا قیل لهم لم تفعلون قال قضی الله تعالی وقدره فقال سیکون فی امتی اقوام یقولون مثل مقالتهم اولئك مجوس امتی و ماروا ه صاحب الفایق و غیره من علماء الاسلام عن جابربن عبدالله انه (ص) قال یکون فی آخر الزمان قوم یعملون بالمعاصی و یقولون ان الله قد قدرها علیهم الراد علیهم کشاهر سیفه فی سبیل الله

ام هی واقعة بقدرة العبد و ارادته و اختیاره بالاستقلال بلا مدخلیة لارادة الله سبحانه فی فعل العبدسوی انه تعالی اوجد العبد و جعله صاحب قدرة و ارادة و اختیار و هذا تفویض محض و تشریك فی الخالقیة کما زعمه المعتزلة و فیهم وردما روی عن النبی (ص) القدریة مجوس هذه الامة لانهم یثبتون مبدأین کالمجوس قائلین بیزدان و اهرمن

ام هی واقعة بمجموع قدرة الله تعالی وارادته و قدرة العبد و ارادته بمعنی ان المؤثر فی وجود الفعل مجموع الارادتین علی وجه الاشتراك و هذا ایضا شرك محض کما قال به ابواسحق الاسفرائینی و من تبعه

و هذه کلها ارآء فاسدة و اهوآء جنیثة و بدع ردیة بها انطمس اهل الحق و ضاع السیر الفاضلة و غاب العلوم الالهیة من بین الخلق وصارت کان لم یکن شیئاً مذکوراً وانما نشأت من قوم نبغوا فی ملة الاسلام واتبعوا الشهوات والشیطان الرجیم لم یستضیئوا بنور العلم ولم یجیئوا الی رکن وثیق و لم ینظروا فی آیات الله سبحانه الا بنظرة عمیآء و بصیرة عوراء

لایبصرون الا باحدی العینین اما الا شاعرة فبالیمنی ای النظر الا قوی الذی یدرك به اللب و الحقایق و یحتجب بالحق عن الخلق واما المعتزلة فبالیسری ای النظر الا ضعف الذی یدرك به القشر والظواهر و یحتجب بالخلق عن الحق و اما الاشتراك فهوا سوء حالا من اخویه لانه شرك بالله و ان الشرك لظلم عظیم

واما الحق القویم والصراط المستقیم الذی هو ادق من الشعر واحد من السیف ما صدر من معادن العلم والایقان و منابع الحکمة والعرفان و مهابط وحی الله و مواضع سره من ابطال الطرفین و اثبات الامر بین الامرین کما قال ﷺ لاجبر ولا تفویض بل امر بین الامرین و هذا المعنی لایعرف الا بعنایة من الله العزیز الحکیم بعد تعدیل قوی النفس و تصقیل مرآت القلب لیتجلی فیه انوار عالم الملکوت وینکشف لدیها خفایا اسرار الجبروت ویری الاشیاء کما هی قبل ان یموت و الا فادراك الحقایق مع وجود العوائق من المحالات العقلیة لاستحالة اجتماع الضدین فضلا عن اجتماع النقیضین فاین یکون الظلمة مع النور والظل مع الحرور و این الارض من السماء والمادی من المجرد

رو مجرد شو مجرد را ببین دیدن هرچیزرا شرط است این

و فی الحدیث لا یدخل الملك بیتاً فی کلب و لذا تری کثیراً من الاعلام اذا سئل عن هذه المسئلة و امثالها یتظاهر فی الجواب بانها و ان کانت من المباحث التی جعل العلماء حیاری والحکماء سکاری الا انا حققنا فی محله ان الحق فیها امر بین الامرین و اذا خاض فی تحقیقاته الشریفة

تعرف انه سلمه الله من عمدة القدرية التى هى مجوس هذه الامة ولعمرى ليس هذا الا لما تركوا وصية ربهم ونصيحة نبيهم من تزكية نفوسهم واصلاح قلوبهم فاشتغلوا بالفروع عن الاصول و اهتموا عن الواجب المهم بالفضول و استغرقوا فى المجادلة بالرد والقبول ولذلك حرموا عن الوصول ولم يقرئوا صحايف الملكوت من كتابها و لم يأتوا البيوت من ابوابها فاغتروا من- حقايق الدين بلوامع سرابها و قنعوا فيه من انوار الحكمة واليقين بظلمات نقابها و لذا ترى نيران العداوة والبغضاء بينهم موقدة الى يوم القيمة فيلعن بعضهم بعضاً و يطعن بعضهم على بعض كما هو دأب اهل الجحيم كما قال تعالى كلما دخلت امة لعنت اختها و قالوا ربنا هؤلاء اضلونا و قيل لهم ذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون و مع ذلك كله صاروا عند ارباب زماننا اعلم و افضل والى اوج القبول والاقبال اوصل و هكذا لحال فى كل زمان و مكان

ان الزمان لتابع للانزل تبع النتيجة للاخس الارذل

و نحن نذكر اولا ماتمسك به كل من الطوايف الثلثة من الادلة العقلية والنقلية من الكتاب والسنة وما قيل او يمكن ان يقال فى رده ثم نبين حقيقة الامر بين الامرين انشاءالله تعالى فنقول

تمسك الاشاعرة بالمعقول على وجوه منها ان ترك الفعل ان امتنع حال وقوعه فهو واجب والعبد مجبور و ان لم يمتنع فلابد من مرجح موجب لامتناع ترجيح احد طرفى الممكن بلا مرجح موجب وهذا لايكون من العبد والا يتسلسل فاذا كان من الغير خرج من الاختيار و لزم الجبر

و اجیب بان الموجب للفعل هو ارادة العبد فمتی حصلت وجب الفعل و الا امتنع و هذا لاینا فی الاختیار لان معناه استواء الطرفین بلا ملاحظة الا رادة اصلا و لذا قیل الوجوب بالاختیار لاینا فی الاختیار بل یحققه و لا یلزم التسر لعدم احتیاج الا رادة الی ارادة اخری کما بین فی محله فتامل اقول الظاهر ان الاشاعرة قد اخذ وادلیلهم هذا مما اتفق علیه جمهور الفلاسفة من ان الشیئ مالم یجب لم یوجد و مرادهم علی مایظهر من کلماتهم ان کلشیئ مالم یتحقق علل وجوده داخلیة اوخارجیة بل جمیع مایتوقف علیه وجوده یستحیل ان یوجد و اذا تحقق جمیع مایتوقف علیه وجوده یصیر واجباً و یستحیل ان لایوجد و هذا حکم عقلی لامناص منه اصلا کما هو مقتضی العلیة والمعلولیة فعلم بضرورة العقل ان کل شیئ مالم یجب لم یوجد و عموم هذا القاعدة یشمل الافعال ایضا و لیست مختصة بما سواها کما زعمه بعض المعاصرین لعدم جواز التخصیص فی القواعد العقلیة و توهم لزوم الجبر مدفوع بان الوجوب انما یتحقق بتحقق جمیع العلل ومن جملتها فی الافعال ارادة الفاعل و معلوم ان الفعل الواجب بارادة الفاعل لا یکون جبراً بل یکون اختیاراً بالارادة و لذا قیل الوجوب بالاختیار لاینا فی الاختیار ولوجود هذه الارادة لایصدق علی العبد فاعل موجب بالفتح بل هو فاعل مختار و ان کان موجباً بالکسر بارادته

و منها ان الموجد للفعل لوکان هوالعبد بارادته لکان عالماً بتفاصیله لعدم تصور الایجاد بالاختیار من دون علم تفصیلی و عدم کفایة

القصد الكلی فی حصول الجزئی لاستوآء نسبة الكلی الی جميع الجزئيات فلا يكون حصول بعضها اولی من بعض ولذا صح الاستدلال بفاعلية العالم علی عالمية الفاعل والازم باطل لعدم علمنا بجميع تفاصيل افعالنا بالوجدان فالملزوم مثله

و اجيب بان الايجاد بالقصد وانكان مستلزماً للعلم الا انه يكفی العلم الاجمالی و هو حاصل فی الافعال الا رادية

و منها ان العبد لو كان موجداً لفعله باختياره لكان شريكا فی الخالقية و هو شرك بالله و ظلم عظيم و لذا قيل لامؤثر فی الوجود الاالله فالمؤثر الحقيقی فی جود الافعال هوالله سبحانه فقط ولادخل للعبد اصلا

و اجيب بان الله سبحانه او جدالعبد و جعله صاحب قدرة و ارادة لايجاد فعله الاختياری و ليس هذا تشريكا فی الخالقية لعدم استقلال العبد فی ايجاد فعله والمراد من قولهم لامؤثر فی الوجود الاالله المؤثر بالاستقلال و بقدرة ذاتية لامطلقا والا فتأثيرات الموجودات العلوية والسفلية مما لا يقبل الانكار لكن جميعها بسبب قدرة الله و مشيته و ارادته فالمؤثر بالاستقلال فی الوجود ليس الاالله فافهم

و منها ان الله سبحانه ان شاء وقوع الفعل فلابد من وقوعه و ان لم يشأ فيمتنع وقوعه لان ماشاء الله كان و مالم ايشاء لم يكن

و اجيب بان هذا فی غير الافعال الاختيارية واما فيها فيكفی فی وقوعها مشيئة العبد فقط و يمكن ان يتعلق بها مشيته تعالی ايضا و لكن معلقة بمشيته العبد اقول اما خروج افعال العباد عن مشية الله فهو مخالف

للعقل والنقل کما مستعرف عند تحقیق المرام انشاءالله واما تعلق مشیته تعالی فیها بتوسط مشیتهم و ارادتهم فهو حق و هذا کاف فی نفی الجبر و تحقق الاختیار العبد فتدبر ولا تغفل و منها ان الله سبحانه ان علم وقوعه وجب وان علم عدم وقوعه امتنع والا یلزم الانقلاب کما قال الحکیم خیام

من میخورم وهر که چومن اهل بود میخوردن او نزد خدا سهل بود
میخوردن من حق زازل میدانست کرمی نخورم علم خدا جهل بود

و اجیب بان العلم بالشیئ لیس علة له حتی یوجبه فان علمنا بطلوع الشمس فی الغد لایوجبه والا یلزم توارد موجبات کثیرة علی موجب واحد

کما قال الحکیم الطوسی ره فی مقام الجواب

آن کس که کنه نکرد اوسهل بود این نکته بگوید ارکه اواهل بود
علم ازلی علت عصیان بودن نزدیك حکیم غایت جهل بود

اقول انکان مستندالمستدل استحالة انقلاب العلم جهلابدون لحاظ العلیة فی العلم کما هوالظاهر من العبارة فی النثر والنظم فلایرده انکار العلیة فی العلم و انکان مستنده استحالة تخلف المعلول عن علته بناء علی کون علمه تعالی علة لمعلوماته کما فهمه المحقق الطوسی قدس سره علی ما یظهر من جوابه ففیه ان علیة علمه تعالی لمعلوماته مما ثبت بالبرهان کما بین فی محله فالاولی فی الجواب علی کلا الوجهین ان یقال انه سبحانه علم بوقوع الافعال علی نحوالاختیار بارادة العباد

فلولم یقع کذلك لیلزم الانقلاب والتخلف و لنافی جمیع هذه الادلة و الا جوبة کلام یأتی انشاءالله فی بیان حقیقة الامربین الامرین

و تمسکو بالمنقول من الکتاب بطوایف من الایات الاولی الایات الدالة علی ان الله العزیزالحکیم قد طبع و ختم علی قلوب الجاحدین بایات الله المتمردین عن طاعته و جعل من بین ایدیهم سداً و من خلفهم سداً و اغشیهم فهم لایبصرون و جعل علی قلوبهم اکنة ان یفقهوا شیئاً من آیاته الافاقیة والانفسیة و فی اذا نهم و قراً فان تدعهم الی الهدی فلن یهتدوا اذاً ابداً کقوله تعالی فی سورة بقرة آیه ٥و٦ ان الذین کفروا سوآء علیهم و ءانذرتهم ام لم تنذرهم لایؤمنون ختم الله علی قلوبهم وعلی سمعهم و علی ابصارهم غشاوة و لهم عذاب عظیم و فی سورة انعام آیة ١٠٩ قوله تعالی و نقلب افئدتهم و ابصارهم کمالم یؤمنوا به اول مرة ونذرهم فی طغیانهم یعمهون و فی سورة انعام آیه ٢٤ قوله تعالی و منهم من یستمع الیك و جعلنا علی قلوبهم اکنة ان یفقهوه و فی اذانهم و قراوان یرو کل آیة لایؤمنوا بها الخ وفی سورة اعراف آیة ١٠٠ قوله تعالی تلك القری نقص علیك من انبائها و لقد جائتهم رسلهم بالبینات فما کانوا لیؤمنوا بما کذبوامن قبل کذلك یطبع الله علی قلوب الکافرین وفی سورة التوبة آیة ٩٢ قوله تعالی انما السبیل علی الذین یستئذنوك و هم اغنیاء رضوابان یکونوا مع الحوالف و طبع الله علی قلوبهم فهم لایعلمون آیة ١٢٦ و قوله تعالی و اذا ما انزلت سوزة نظر بعضهم الی بعض هل یریکم من احد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لایفقهون فی سورة

النحل آیة ۱۰۷ و قوله تعالی اولئك الذین طبع الله علی قلوبهم و سمعهم و ابصارهم و اولئك هم الغافلون و فی سورة کهف آیه ٥٦ قوله تعالی انا جعلنا علی قلوبهم اکنه ان یفقهوه و فی اذانهم و قراً وان تدعهم الی الهدی فلن یهتدوا اذاً ابداً و فی سورة الرعد آیه ٥٨ قوله تعالی کذلك یطبع الله علی قلوب الذین لا یعلمون و فی سورة یس آیه ۸ قوله تعالی وجعلنا من بین ایدیهم سداً و من خلفهم سداً فاغشیناهم فهم لا یبصرون و فی سورة جاثیه آیه ۲۲ قوله تعالی افرایت من اتخذ الهه هویه و اضله الله علی علم و ختم علی سمعه و قلبه و جعل علی بصره غشاوة فمن یهدیه من بعدالله افلا تذکرون

و اجیب عن هذه الایات تارة بان المراد بالختم و امثاله فی هذه الایات جعل العلامه فان الله سبحانه اذا علم ان الکافر لایؤمن اصلا یعلم علی قلبه علامه و لذا قیل یعرف المجرمون بسیماهم قیل هی نکتة سوداء تشاهدها الملئکه فیعرفون بها انه لایؤمن بعدها فیذمونه و یدعون علیه کما انه یکتب فی قلب المؤمن من الایمان و یعلم علیه علامة تعرف بها الملئکه انه مؤمن فیمدحونه و یستغفرون له

و اخری بان المراد من الختم علی القلوب ان الله شهد علیها و حکم بانها لاتقبل الحق کما یقال اراك تختم علی کل مایقوله فلان اوتشهد به و تصدقه و ذلك استعارة

و ثالثة بان المراد بذلك انه تعالی ذمهم بانها کالمختوم علیها فی انه لایدخلها الایمان و لایخرج عنها الکفر والمعنی ان الکفر تمکن

من قلوبهم فصارت کالمختوم علیها وصاروا بمنزلة من لایفهم ولایبصر ولایسمع

اقول و یمکن ان یجاب عن هذه الایات بان الختم علی القلوب انما حصل بعد غورهم فی جحود الایات الباهرة و المعجزات الظاهرة لان الکفار کلما شاهد و امن آیة او معجزة انکروها و جحدوها و قالوا ان هذا الاسحر مبین فلما اکثروا اللجاج والعناد فی مقابل الحجج والبینات ختم الله علی قلوبهم و علی سمعهم و جعل علی قلوبهم اکنة ان یفقهوها و فی اذانهم و قراً فان تدعهم الی الهدی بعد ذلك فلن یهتدوا اذا ابداً فالله سبحانه انما اخبر فی هذه الایات عن صفات قلوبهم اللتی انما حصلت بوصولهم الی غایة مراتب الجحود و الانکار فالختم علی قلوبهم متفرع علی کمال جحودهم و لیس الامر بالعکس حتی یلزم الجبر

و یؤیده مافی الحدیث من انه اذا بلغ الرجل اربعین ولم یتب مسح الشیطان وجهه بیده و قال بابی وجه من لایفلح و هذا الوجه و ان لم یقع فیه تغییر اللفظ عن معناه الظاهری ولا تجوز کما وقع فی الوجوه المذکورة الا ان جمیعها مما لایتفوه به من له ادنی بصیرة فی العلوم الالهیة والایات القرانیة کما لا یخفی علی العارف الحکیم و صاحب ذوق سلیم

الثانیة الایات الدالة علی ان الهدایة والضلالة لاتحصلان الابمشیة الله سبحانه و یستحیل التخلف عما شاء الله فیضل من یشاء ویهدی من یشاء و من هداه الله فماله من مضل ومن اضله الله فلا هادی له و هذه سنة الله ولن تجد لسنة الله تبدیلا (فی سورة النساء آیة ٨٧ و ١٤٢) کقوله تعالی

فمالکم فی المنافقین فئتین والله ارکسهم بما کسبوا اترویدن ان تهد وامن اضل الله و من یضلل الله فلن تجدله سبیلا و (فی سورة النساء آیة ۸۷ و ۱۴۲) قوله تعالی مذبذ بین بین ذلك لا الی هولاء ولا الی هولاء و من یضلل الله فلن تجدله سبیلاو (فی سورة الغام آیة ۳۸ و ۱۲۴) قوله تعالی والذین کذبوا بایاتنا صم و بکم فی الظلمات من یشاء الله یضلله و من یشأ یجعله علی صراط مستقیم و (فی سورة الغام آیة ۳۸ و ۱۲۴) قوله تعالی فمن یرد الله ان یهدیه یشرح صدره للاسلام و من یرد ان یضله یجعل صدره ضیقاً حرجاً کانما یصعد فی السمآء کذلك یجعل الله الرجس علی الذین لا یؤمنون و (فی سورة اعراف آیة ۱۵۴ و ۱۷۷ و ۱۸۵) قوله تعالی و اختار موسی قومه سبعین رجلا لمیقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال رب لوشئت اهلکتهم من قبل و ایای اتهلکنا بما فعل السفهاء منا ان هی الافتنتك تضل بها من تشاء و تهدی من تشاء انت ولینا فاغفرلنا و ارحمنا و انت خیر الغافرین (فی سورة اعراف آیة ۱۵۴ و ۱۷۷ و ۱۸۵) وقوله تعالی من یهدی الله فهو المهتدی و من یضلل فاولئك هم الخاسرون

و قوله تعالی من یضلل الله فلا هادی له و یذرهم فی طغیانهم یعمهون و (فی سورة هود آیة ۳۳) قوله تعالی ولا ینفعکم نصحی ان اردت ان انصح لکم ان کان الله یرید ان یغویکم هوربکم والیه ترجعون (فی سورة الرعد آیة ۲۶ و ۳۲) وقوله تعالی ویقول الذین کفروا الولا انزل علیه آیة من ربه قل ان الله یضل من یشاء و یهدی الیه من اناب و (فی سورة الرعد آیة ۲۶ و ۳۲) قوله تعالی بل زین للذین کفروا مکرهم و صدوا عن السبیل و من

یضلل الله فماله من هاد و(فی سورة ابراهیم آیة٣و٢٦) قوله تعالی وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه لیبین لهم فیضل الله من یشاء و یهدی من یشاء و هو العزیز الحکیم (فی سورة ابراهیم آیة٣و٢٦) و قوله تعالی یثبت الله الذین امنوا بالقول الثابت فی الحیوة الدنیا و فی الاخرة و یضل الله الظالمین و یفعل الله ما یشاء و(فی سورة النحل آیة٣٦و٩٢) قوله تعالی ان تحرص علی هدیهم فان الله لا یهدی من یضل و مالهم من ناصرین و (فی سورة النحل آیة ٣٦و٩٢) قوله تعالی و لو شاء الله لجعلکم امة واحدة و لکن یضل من یشاء و یهدی من یشاء ولتسئلن عما کنتم تعملون و (فی سورة الاسراء آیة٩٦) قوله تعالی و من یهدی الله فهو المهتد و من یضلل فلن تجدلهم اولیاء من دونه و (فی سورة الکهف آیة١٦) قوله تعالی من یهدی الله فهو المهتد و من یضلل فلن تجدله ولیاً مرشداً* و(فی سورة النور آیة٢٠) قوله تعالی و لولا فضل الله علیکم و رحمته ما زکی منکم من احد ابداً ولکن الله یزکی من یشاء والله سمیع علیم و (فی سورة الردم آیة٢٨) قوله تعالی بل اتبع الذین ظلموا اهوائهم بغیر علم فمن یهدی من اضل الله و مالهم من ناصرین و (فی سورة الفاطر آیة٧) قوله تعالی افمن زین له سوء عمله فراه حسناً فان الله یضل من یشاء و یهدی من یشاء فلا تذهب نفسك علیهم حسرات ان الله علیم بما یصنعون و (فی سورة ذمر آیة٢٢و٣٥و٣٦) قوله تعالی ذلك هدی الله یهدی به من یشاء و من یضلل الله فماله من هاد وقوله تعالی ومن یضلل الله فماله من هاد وقوله تعالی و من یهدی الله فماله

من مضل الیس الله بعزیز ذی انتقام و (فی سورة غافر آیة ٣٤) قوله تعالی یوم تولون مدبرین مالکم من الله من عاصم و من یضلل الله فماله من هاد و (فی سورة شوری آیة ٤٣ و ٤٥) قوله تعالی و من یضلل الله فماله من ولی من بعده الخ و قوله تعالی و من یضلل الله فماله من سبیل و (فی سورة المتدثر آیة ٣٠) قوله تعالی کذلك یضلل الله من یشاء و یهدی من یشاء و ما یعلم جنود ربك الاهو و ما هو الا ذکری للبشر

و اجیب عن هذه الآیات بوجوه منها ان المراد من الاضلال فیهذه الآیات انما هو تشدید الامتحان الذی یکون عنده الضلال فان المحنة اذا اشتدت علی الممتحن فضل عندها سمیت اضلالا و اذا سهلت فاهتدی عندها سمیت هدایة فالمعنی ان الله سبحانه یشدد الامتحان لمن یشاء بحکمته فیضل عنده و یسهل لمن یشاء برحمته فیهتدی عنده و هذا کما یقال للرجل اذا ادخل الفضة النارلیبین فسادها من صلاحها فظهر فسادها افسدت فضتك و هو لم یفعل فیها الفساد و انما یراد اظهرت فسادها بالمحنة

و منها ان المراد بالاضلال التخلیة علی وجه العقوبة و ترك المنع بالقهر و منع الالطاف التی تفعل بالمؤمنین جزاءً علی ایمانهم و هذا کما یقال لمن لایصلح سیفه افسدت سیفك یعنی انك لم تحدث فیه الاصلاح بالصقل والاحداد

و منها ان المراد بالاضلال فیهذه الآیات التسمیة بالضلال والحکم

به کما یقال اضله اذا نسبه الی الضلال واکفره اذا نسبه الی الکفر وحکم بکفره قال المکیت

فطائفة قدا کفر و نی بحبکم و طائفة قالوا مسیئی و مذنب

و منها ان الاضلال هنا بمعنی الاهلاك والعذاب والتدمیر کما فی قوله تعالی ان المجرمین فی ضلال و سعر و منه قوله تعالی اذا ضللنا فی الارض ای هلکنا

و هذه الوجوه کما تری کلها مما یتشبث به الغریق بلا حاجة اصلا لان غایة مایستفاد من هذه الایات انه تعالی یضل من یشاء الضلال و یهدی الیه من اناب یعنی یهیئی اسباب الضلال والتبعد عنه لمن اراد الضلال و المعصیة و یهیئی اسباب الهدایة و التقرب لمن اراد الهدایة والانابة الیه فکما ان فاعل اناب هو الموصول فکذا فاعل یشاء هو الموصول فهو تعالی انما یهدی من یشاء الهدایة و یضل من یشاء الضلالة و هذا دلیل علی کمال الاختیار و لیس فیه جبر اصلا اذ بعد وقوع الهدایة والضلالة بمشیة العبد وارادته یتحقق الاختیار ولاینا فیه حدوث مشیة العبد وفعله بمشیة الله لان المناط فی اختیاریة الفعل وقوعه علی وفق ارادة فاعله فقط و بمجرد هذه الارادة یصیر الفعل اختیاریاً و واجباً و ان کان مع ذلك حادثاً بمشیة الله ایضاً و هذا هو مصحح استناد الهدایة والضلالة الی الله و مفاد قوله تعالی من یشاء الله یضلله ومن یشاء یجعله علی صراط مستقیم وقوله تعالی تضل بها من تشاء و تهدی من تشاء و قوله تعالی من هداه الله فماله من مضل و من اضله الله فلا هادی له و ستعرف زیادة تحقیق

ذلك عند بیان الامر بین الامرین انشاءالله کما لایخفی

الثالثة الایات الدالة علی ان الناس بحسب الاصل والفطرة فریقان فریق هدی الله و فریق حق علیهم الضلالة فلا یتمکنون من الایمان اصلا ولا یصدر منهم الطاعة والاذعان ابداً (س۷-ی۲۹) کقوله تعالی فریقاً هدی و فریقاً حق علیهم الضلالة انهم اتخذوا الشیاطین اولیاء من دون الله و یحسبون انهم مهتدون و(س۱۶-ی۳۵) قوله تعالی و لقد بعثنا فی کل امة رسولا ان اعبدوا الله و اجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدی الله و منهم من حقت علیه الضلالة فسیروا فی الارض فانظروا کیف کان عاقبة المکذبین و (س۳۲-ی۱۲) قوله تعالی و لو شئنا لاتینا کل نفس هدیها ولکن حق القول منی لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعین و (س۳۶-ی۶) قوله تعالی لقد حق القول علی اکثرهم فهم لا یؤمنون و (س۳۹-ی۱۸) قوله تعالی افمن حق علیه کلمة العذاب افانت تنقذمن فی النار و(س۱۰-ی۳۲ و۹۵) قوله تعالی کذلك حقت کلمة ربك علی الذین فسقوا انهم لایؤمنون و(س۱۰-ی۳۲و۹۵) قوله تعالی ان الذین حقت علیهم کلمة ربك لایؤمنون (س۱۷-ی۴۵) و قوله تعالی و اذا اردنا ان نهلك قریة امرنا مترفیها ففسقوا فیها فحق علیها القول فدمرناها تدمیراً

و قد ذکر المفسرون فی تأویل هذه الایات مضافاً الی ما تقدم من معنی الضلال ان المراد من الکلمة التی حقت و وجبت علی الکفار انما هو العذاب جزاءً کما صرح به فی آیة ۴۲ فیکون قوله تعالی انهم لایؤمنون فی آیة ۴۳ بمعنی التعلیل ای وجبت علیهم العذاب لانهم لا یؤمنون واما الایة

الاخيرة فاحسن ماذكروا فى تأويلها ان معناه و اذا اردنا ان نهلك اهل قرية بعد قيام الحجة عليهم امرنا رؤسائها بالطاعة والايمان توكيداً للحجة ففسقوا فيها وعتوا عن امر ربهم فحق عليها العذاب فاهلكناهم اهلاكا

اقول لحسن ما يقال فى مدلول هذه الايات مع حفظ الظواهر من معانى الكلمات ان الظاهر منها وجوب الضلالة والخسران و عدم الطاعة و الايمان على الكفار وهذا اعم من ان يكون بالاكراه و الاجبار او بالارادة والاختيار فمجرد نفى الفعل لايدل على نفى القدرة كما ذكره بعضهم بل الظاهر من قوله تعالى لا يؤمنون هو الثانى و لذا لم يقل لايقدرون على الايمان و ستعرف انشاءالله زيادة تحقيق فى بيان الامر بين الامرين

الرابعة الايات الدالة على ان الله العزيز الحكيم يريد ان يثبت الكفار على كفرهم حتى تزهق انفسهم وهم كافرون (س٣-ى١٧٥) كقوله تعالى ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر انهم لن يضروا الله شيئاً يريدالله الا يجعل لهم حظا فى الاخرة ولهم عذاب عظيم و (س٩-ى٥٤) قوله تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريدالله ليعذبهم بها فى الحيوة الدنيا و تزهق انفسهم وهم كافرون و(س٩-ى٨٤) قوله تعالى ولا تعجبك اموالهم و اولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها فى الدنيا و تزهق انفسهم و هم كافرون

واجيب عنها بان الارادة انما تعلقت بتعذيبهم فى الدنيا و زهوق انفسهم فقط لا بكفرهم و هذا كما تقول اريد ان اضربه وهو عاص فالارادة

انما تعلقت بالضرب لا بالعصیان

اقول لایخفی مافیه من الوهن لان ظهور الایة فی ان المراد زهوق انفسهم فی حال الکفر اوضح من ان یخفی فالارادة تعلقت بموتهم فی حال الکفر لامطلقا و الا لم یکن للاختصاص بهم وجهاً حیث ان الموت مطلقا مکتوب علی الناس جمیعاً

الخامسته الایات الدالة علی ان جمیع الاعمال الصادرة من العباد مخلوقة له تعالی فکما ان خالق جمیع الاعیان الموجودة فی عوالم الامکان هو سبحانه لاغیر فکذا خالق جمیع الافعال والاعمال المنسوبة الی النفوس البشریة هو الله الواحد القهار و تلك الدلالة اما بنحو العموم (س٢٣-ی١٥) کقوله تعالی قل من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه اولیاء لایملکون لانفسهم نفعاً ولا ضراً قل هل یستوی الاعمی والبصیر ام هل تستوی الظلمات والنور ام جعلوا لله شرکاء خلقوا کخلقه فتشابه الخلق علیهم قل الله خالق کل شیئی و هو الواحد القهار واما بنحو الخصوص (س٣٧-ی٩٥) کقوله تعالی والله خلقکم وما تعملون

و اجیب عن الثانی بان المراد مما تعملون انما هو الاجسام التی تنحتون منها الاصنام کما فی تلقف ما یأفکون و تلقف ماصنعوا فکما ان المراد فیهما الشیئی المأفوك فیه و المصنوع فیه لا الافك والصنعة فکذا المراد هنا الجسم المنحوت لا النحت و الا لم یکن توبیخاً بل یصیر حجة و عذراً لهم کما لایخفی فافهم

و عن الاول بان الایة وردت حجة علی الکفار اذ لوکان المراد ما

قالوا لكان فيها حجة لهم على الله لانه اذا كان الخالق لعبادتهم الاصنام هو الله فلا يتوجه التوبيخ الى الكفار و لا يلحقهم اللوم بذلك بل يكون لهم ان يقولوا انك خلقت فينا ذلك فلم توبخنا على فعل خلقته فينا فيبطل ح فائدة الاية و ايضا فان اكثر اصحابنا لايطلقون على غيره سبحانه انه يخلق اصلا فضلا عن ان يقولوا انه يخلق كخلق الله و لكن يقولون ان العباد يفعلون و يحدثون ومعنى الخلق عندهم الاختراع ولا يقدر العباد عليه ومن جوز منهم اطلاق لفظ الخلق فى افعال العباد فانه يقول انه سبحانه انما نفى ان يكون احد يخلق مثل خلقه ونحن لانقول ذلك لان خلق الله اختراع و ابداع وافعال غيره مفعولة فى محل القدرة عليها مباشراً و متولداً فى الغير بسبب حال فى محل القدرة ولا يقدر على اختراع الافعال فى الغير على وجه من الوجوه الا الله سبحانه الذى ابدع السموات و الارض وما فيها وينشئى الاجناس من الاعراض التى لايقدر عليها غيره فكيف يشبه الخلق مع هذا التميز الظاهر على ان عندهم كل حركة هى كسب للعبد و فعل لله تعالى ولا يتميز فقد حصل التشابه هنا و نحن نقول ان احدنا يفعل بقدرة محدثة يفعلها الله تعالى فيه والله سبحانه يفعل لكونه قادراً لذاته فالفرق والتميز ظاهر فعلمنا ان المراد بقوله خالق كل شيئى ماقدمناه من انه خالق كل شيئى يستحق لخلقه العبادة انتهى

اقول اما قوله بان الاية وردت حجة على الكفار الخ فهو و ان امكن فيه المناقشة الا ان له وجه فى محله

و اما قوله لايطلقون الخ فان كان المراد ان الافعال خارجة عن شمول

الاية موضوعاً لان حقيقة الخلق اختراع و حقيقة الفعل احداث كما ذكره القاضی يمكن ان يكون رداً على دلالة الاية على كون الافعال مخلوقة له تعالى لا للعبد لكن يأبى عنه قوله ولا يقدر على اختراع الافعال فی الغير الا الله الخ كما لا يخفى

وان كان المراد ان الخلق والاختراع لا يصدق على الفعل الا اذا كان صدوره بقدرة ذاتية كما فی الله تعالى و اما فعلنا فلا يصدق عليه الخلق لكونه صادراً بقدرة محدثه ففيه مضافاً الى كونه دعوى بلا دليل ان افعالنا و انكانت صادرة منا بقدرة محدثه منه تعالى الا انها منسوبة الى الله تعالى بقدرة ذاتية و هذه النسبة تكفی فی صحة صدق انها مخلوقة لله تعالى فيصح شمول الاية على الافعال

و قال علم الهدى قدس سره فی رسالته المسمى بانقاذ البشر من الجبر والقدر فی معنى خالق كل شیئ ان المراد به خلق السموات و الارض والليل والنهار والجن و الانس وما اشبه ذلك واستدل على ذلك بما حاصله ان شمول كل عموم محدود بحسب مقامه كما فی قوله تعالى و اوتيت من كل شیئ و يجبى اليه ثمرات كل شیئ و فيه بتيان كل شیئ و انطقنا الله الذی انطق كل شیئ و قول لبيد بن ربيعه الا كل شیئ ماخلا الله باطل و كل نعيم لامحالة زائل فانه اراد فی الاول مما اوتيته هی دون مالم تؤته كمالم تؤت من ملك سليمان شيئاً و فی الثانی مما يجبى اليه ولم يجب اليه ثمرات الشرق والغرب و فی الثالث مما بالخلق اليه حاجة فی دينهم وليس فيه بتيان عدد النجوم و عدد الانس والجن و فی الرابع مما انطقه

ولم ينطق الحجارة والحركة والسكون و اراد لبيد بعض الاشياء و لم يرد ان الحق والايمان ولا شعره هذا باطل ولا ان نعيم الجنة زائل و كذا اراد في قوله تعالى خالق كل شيئ مما خلقه وليس الشرك والكفر والعصيان من خلقه ولا من صنعه والا لزم ان يكون حسناً و متقناً لقوله تعالى الذى احسن كل شيئ خلقه و قوله تعالى صنع الله الذى اتقن كل شئ واللازم باطل بالوجدان فالملزوم مثله

اقول لايخفى ان ملاحظة حد العموم في خالق كل شيئ ليس باولى من ملاحظته في احسن كل شيئ مع ان المراد من الحسن الثابت في كل شيئ موجود ليس الا كونه موضوعاً في محله و منشاء لاثاره المطلوبة من الحكم المهمة و المصالح الازمة في مراحل السير الى العالم الا على ومدارج الفوز الى الغاية القصوى فان الصانع الحكيم لما كان ذاته في غاية الحسن والجمال و العظمة والجلال وكان الموجودات كلها اثار ذاته و اشعة انوار صفاته فلابد ان يكون جميعها في غاية ما يمكن من الحسن والجمال و نهاية مايليق من النظم و الكمال على الترتيب الذى اقتضته الحكمة القضائية و اوجبته المصلحة القدرية و اما ما يترائى في نظر المحجوبين من الشرور والسيئات فهي ليست شراً في الحقيقة لان الشر الحقيقي عدم اوعدمي لاوجود له اصلا واما ما يؤدى الى عدم الذات اوعدم كمال الذات مما يسمى باسم الشر مجازاً فهو انما خلق لاجل مصالح عظيمة لايهملها خالق القضاء والقدر لان في تركه اضعاف مايرى في وجوده من الشر فقد لاح ان جميع الاشياء مخلوقة على احسن مايتصور من الحسن والاتقان

جهان چون زلف و خال وخط و ابرو است

کـه هر چیزی بجـای خویش نیکو است

فکما ان الاجرام العلویة و اوضاعها و انوارهـا والنفوس الفلکیة و افعالها و اثـارها مصنوعة له تعـالی باتقن صنع وانتظام فکذا الاجرام السفلیة و اعـراضها و اعمالهـا والنفوس الارضیته و صفـاتها و افعالهـا مخلوقة لله الواحد القهار باحسن خلق و نظام وای فرق بین حرکات النفوس الفلکیة التی ینتزع منها اللیل والنهـار وبین حرکات النفوس الارضیة التی ینتزع منها الافعال والاعمال فتأمل و لکن الحق فی المقام ان مجرد کون الافعال مخلوقة له تعالی لایدل علی الجبر الذی رعمه الاشاعرة کما ستعرف فی تحقیق الامر بین الامرین انشاءالله تعالی

السادسة الایات الدالة علی ان الفعل الصادر من العبد لیس فعلا له بل فعل الله العزیز الحکیم (س۸-ی۱۶) کقوله تعـالی فلم تقتلوهم و لکن الله قتلهم ومـا رمیت اذ رمیت و لکن الله رمی و لیبلی المـؤمنین منه بـلاء حسناً ان الله سمیع علیم و (س۲۸-ی۵۵) قوله تعـالی انك لاتهدی من احببت و لکن الله یهدی من یشاء وهو اعلم بالمهتدین

واجیب عن الاولی بان المراد من الرمی المنسوب الیه تعالی والمنفی عنه(ص م) انما هو ضم اشیاء اخر الی التراب الذی رماه (ص م) لعدم کفایة ذلك القـدر القلیل من التـراب لعیون جم غفیر من الکفار او ایصال اجزاء التراب الی عیون الکفار والقاء الرعب فی قلوبهم عند رمیه (ص م)

و عن الثانیة ایضاً بان المراد من الهدایة التی نسبت الیه تعـالی

و نفیت عنه (ص م) انما هوالایصال الی المطلوب و یعبر عنه بالتوفیق و هو لطف زاید یخص به علی من یشاء و اما الهدایة التی هی وظیفة لرسوله ﷺ عبارة عن ارائة الطریق و هوالمراد من قوله تعالی انك تهدی الی صراط مستقیم

اقول اماالجواب الاول فلا اشکال انه خلاف الظاهر فلا یمکن المصیر الیه الا بما یوجبه

واما الثانی ففیه ان هذا لا یذب عن استدلال الاشاعرة بل یؤیده لان الغایة المقصودة من ایجاد العوالم و ابداع الحقایق لیس الا البلوغ الی غایة المنی والوصول الی الحق الاعلی و ما دونه من المراتب لیست مطلوبة الا لاجل المقدمیة والطریقیة فالهدایة فی الحقیقة عبارة عن هذه المرتبة و لذا جعلت غایة بالانحصار للایجاد والخلقة فی قوله تعالی و ما خلقت الجن والانس الا لیعبدون ای لیعرفون و فی الحدیث کنت کنزا مخفیا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لکی اعرف فمن حاز هذه المرتبة فقدفازفوزا عظیما و من قصر عنها ضل ضلالا مبیناً و اذا کان الوصول الی المطلوب بید الله تعالی و موقوفاً علی مشیته بمقتضی هذه الایة و امثالها فیثبت المطلوب فتدبر

السابعة الایات الدالة علی ان ایمان کل نفس موقوف علی مشیة الله و اذنه فلا یتمکن احد من الایمان الا ان یشاء الله و یأذنه (س٦ ی١١٠) کقوله تعالی و لواننا نزلنا الیهم الملائکة و کلهم الموتی وحشرنا علیهم کل شیئ قبلا ماکانوا لیؤمنوا الا ان یشاء الله و لکن اکثرهم

يجهلون و (س١٠-ى٩٩) قوله تعالى و ما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله و يجعل الرجس على الذين لايعقلون و (س٢٤-ى٢٠) قوله تعالى و لولا فضل الله عليكم و رحمته ما زكى من احد ابداً و لكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم و (س نور-ى٣٩) قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور

واجيب عنها بان الايمان الذى لايحصل الا بمشية الله تعالى و اذنه ماحصل على نحو الالجاء والمعنى ان الكفار من كثرة عنادهم لن يؤمنوا باقامة هذه الحجج الواضحة الا ان يشاء الله ان يلجأهم الى الايمان والاذن هنا بمعنى الامر واما الفضل الذى لولاه ما زكى من احد ابداً فهو عبارة عن تبيين الحق والضلال بالامر بالخيرات والنهى عن الشرور و هكذا المراد من النور الذى لولا جعله الله لم يكن لاحد من نور هو النور العقلانى الذى به يعرف الحق والضلال والخطاء والصواب

اقول و يرد عليه مضافاً الى كونه مخالفاً للظاهر من الايات ان هذا لا يدفع الاشكال لان الايمان اذا كان منوطاً و موقوفاً الى مشيته تعالى و امره فلا يمكن ان يقع بدونها كما لابد من وقوعه عند تحققها فمن شاء الله و امر به ان يكون مؤمناً فهو ملجأ الى الايمان و مجبور به و لامناص له منه اصلا و هذا هو المطلوب مع ان الاذن ليس بمعنى الامر بل الامر كاشف عن الاذن كما لايخفى

و لكن يمكن ان يقال ان غاية مايظهر من الايات انه يستحيل ان يقع الايمان بدون اذن الله تعالى و اما فى صورة تحقق الاذن منه تعالى

فلا دليل على كون المأذون بالايمان مجبوراً و ملجاء الى الايمان فكل احد اذن له بالايمان له ان يختار الاطاعة والايمان كما له ان يتمرد بالكفر والعصيان والحاصل ان الملازمة محققة بمدلول الاية في طرف النفي لا في طرف الثبوت فافهم فان هذا كله مجادلة في الخصام للنقض والابرام والا فالحق الحري في المقام ان الايمان ليس من الامور الحاصلة بتوسط الارادة حتى يكون اختيارياً و لذا لايمكن عليه الاكراه والاجبار ايضاً كما قال تعالى لا كراه في الدين بخلاف الاسلام فانه تصديق باللسان والعمل بالاركان وهو حاصل بالارادة والاختيار و لذا قال تعالى في رد المنافقين حين اظهروا الايمان و لكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبهم و قال ايضاً لاتمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان فانصرح بذلك ان الايمان مما لايحصل الا باذن الله و هو اشراقه تعالى على قلب من يشاء فما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله و يلزم من ذلك ان لايكون الايمان مورداً للتكليف الشرعي و متعلقا بالامر المولوي لعدم جواز تعلق الامر والتكليف الشرعي بغير الامور الاختيارية فلايكون واجباً شرعياً و انكان واجباً عقلا وحينئذ فالاوامر المتعلقة به في بعض الايات والاخبار اما من باب الارشاد بحكم العقل او من باب اطلاق المسبب و ارادة السبب تجوزاً حيث ان بعض مقدمات الايمان و اسبابه كالنظر الى الايات الافاقية و الانفسيه اختياري بلااشكال و قد تمسك بعضهم ببعض آيات اخر تركنا ذكرها لما فيها من الضعف في الدلالة مع كونه موجباً للاطالة والملالة و تمسكو بالسنة بطوايف من الاحاديث والاخبار

الاولى الاخبار الدالة على ان وجود كلما في الكون موقوف على مشية الله تعالى و ارادته و عدمه منوط بعد مهما فكلما شاء الله كان ولو نهى عنه ولم يحبه ولم يرض به و مالم يشاء الله لم يكن وان احبه ورضى به و امر به كرواية عبد الله بن سنان عن ابيعبدالله عليه السلام قال سمعته يقول امرالله و لم يشاء وشاء ولم يأمر امر ابليس ان يسجد لادم و شاء ان لايسجد و لو شاء لسجد و نهى ادم عن اكل الشجرة و شاء ان يأكل منها و لو لم يشأ لم يأكل و رواية فتح بن يزيد الجرجاني عن ابى الحسن عليه السلام قال ان لله ارادتين و مشيتين ارادة حتم و ارادة عزم ينهى و هو يشاء و يأمر و هو لايشاء اوما رايت انه نهى آدم و زوجته ان يأكلا من الشجرة و شاء ذلك و لو لم يشاء ان يأكلا لما غلبت شهوتهما مشية الله تعالى و امر ابراهيم ان يذبح اسحق ولم يشاء ان يذبحه و لو شاء ان يذبحه لما غلبت مشية ابراهيم عليه السلام مشية الله عزوجل

و رواية فضيل بن يسار قال سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول شاء و اراد و لم يحب و لم يرض شاء ان لايكون شيئى الا بعلمه و اراد مثل ذلك و لم يحب ان يقال ثالث ثلثة و لم يرض لعبادة الكفر و سياتى ايضا مايدل على ذلك في اصول كافى

و اجيب عنها بان المشية هنا بمعنى العلم وهو ليس علة للمعلوم غاية الامر ان علمه تعالى لايتخلف عن معلومه كما هو مدلول هذه الروايات و امثالها و هذا غير العلية فلا يلزم الجبر و بناء على كون المشية هنا بمعنى الارادة فبالنسبة الى المعاصى والشرور لابد من التجوز بان تكون

بمعنى التخلية بين المعاصى و فواعلها و عدم ايجاد المانع عنها جمعاً بين العقل والنقل

اقول مضافاً الى مافيه من التكلف والمخالفة للظاهر بما لامزيد عليه فيه ان علية علمه تعالى مما ثبت بالبرهان كما سحققه فى محله انشاء الله

الثانية الاخبار الدالة على انه لايكون شيئى من الموجودات وافعال العباد كلها خيراً كان اوشراً الا بقضاء و قدر من الله عزوجل ولامرد لقضائه ولامفر من قدره لاحد اصلا كرواية الصدوق ره باسناده الى الحسين بن على عليه السلام قال سمعت ابى على ابن ابيطالب عليه السلام يقول الاعمال على ثلثة احوال فرايض و فضائل و معاص

فاما الفرايض فبامرالله عزوجل و برضاء الله و تقديره و مشيته و علمه و اما الفضائل فليست بامرالله و لكن برضاء الله و بقضاء الله و بقدرالله و بمشيةالله و بعلم الله و اما المعاصى فليست بامرالله و لكن بقضاء الله و بقدره و بمشيته و بعلمه ثم يعاقب عليها

و رواية حريز عبدالله وعبدالله بن مسكان جميعاً عن ابيعبدالله عليه السلام انه قال لايكون شيئى فى الارض ولا فى السمآء الا بهذه الخصال السبع بمشية و ارادة و قدر و قضاء و اذن و كتاب و اجل فمن زعم انه يقدر على نقض واحدة فقد كفر

و رواية محمد بن خالد عن زكريا بن عمران عن ابى الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال لايكون شيئى فى السموات ولا فى الارض الا بسبع

بقضاء و قدر و ارادة و مشية و كتاب و اجل و اذن فمن زعم غير هذا فقد كذب على الله اورد على الله عزوجل

و رواية حمزة بن محمد الطيار عن ابيعبدالله عليه السلام قال انه ليس شيئ فيه قبض اوبسط مما امرالله به اونهى عنه الا و فيه لله عزوجل ابتلاء و قضاء

و رواية على بن ابراهيم الهاشمي قال سمعت ابالحسن موسى بن جعفر عليه السلام يقول لايكون شيئ الاماشاء الله و اراد و قدر و قضى قلت ما معنى شاء قال ابتدأ الفعل قلت ما معنى قدر قال تقدير الشيئ من طوله و عرضه قلت ما معنى قضى قال اذا قضى امضا فذلك الذى لامردله

و رواية ابى بصير قال قلت لابيعبدالله عليه السلام شاء و اراد و قدر وقضى قال نعم قلت و احب قال لاقلت فكيف شاء و اراد و قدر و قضى و لم يحب قال هكذا خرج الينا و ياتى ايضاً مايدل على ذلك

و اجاب عنها شيخنا المفيد قدس سره بما ملخصه ان القضاء على ضروب متعددة احدها الخلق كقوله تعالى فقضيهن سبع سموات

والثانى الامر كقوله تعالى و قضى ربك ان لاتعبد و الا اياه

والثالث الاعلام كقوله تعالى و قضينا الى بنى اسرائيل والرابع الحكم كقوله تعالى والله يقضى بينهم بالحق

والخامس الفراغ كقوله تعالى قضى الامر الذى فيه تستفتيان اذا علمت هذا فاعلم انه يطلق فى كل مقام على معنى مناسب له فقضائه سبحانه في انفس العباد بالخلق لها وفيما فعله فيهم بالايجاد له و فى افعالهم الحسنة

بالامر بها و فى افعالهم القبيحة بالنهى عنها والقدر منه سبحانه فيما فعله ايقاعه فى حقه و موضعه و فى افعال العباد ماقضاء فيها من الامر و النهى والثواب والعقاب لان ذلك كله واقع موقعه و موضوع فى مكانه لم يقع عبثاً ولم يصنع باطلا و بذلك تزول الشبهة و تثبت الحجة

اقول لايخفى ان القضاء على مايستظهر من موارد الاستعمالات بمعنى الحتم لاغير و هوالوجوب على سبيل الجزم وكانه عبارة عن اخر مراتب الارادة الشديدة بحيث لامرد له اصلا ولا يمكن ان يوجد شيئى من الموجودات كلها الا بقضاء من موجدها و لذا قيل الشيئى مالم يحب لم يوجد غاية الامر ان متعلق القضاء قد يكون ذوات الانفس و الاشياء من الشرور والخيرات و قد يكون افعالها من القبايح و الحسنات و قد يكون نفس الاوامر والنواهى المتعلقة بافعالها من المعاصى والطاعات و قد يكون جزاء الاعمال من المثوبات والعقوبات و لاريب ان القضاء المتعلق بالامر والنهى لايكون قضاء للما موربه والمنهى عنه حتى يصح ان يقال ان قضائه سبحانه فى افعالهم الحسنة بالامر بها و فى افعالهم السيئة بالنهى عنها اللهم الا ان يراد بالامر والنهى التكوينيان و حينئذ تكون الشبهة مأنوسة والحجة معكوسته فحق المقام ماسنتلو عليك من البيان فى تحقيق المرام انشاء الله

الثالثة الاخبار الدالة على ان الله سبحانه خلق الخير و الشروا جراهما بيد من احبه و اراد فاذا كان جميع الخيرات والشرور مخلوقة لله و منسوبة اليه تعالى فلم تكن الافعال باختيار العباد و يلزم الجبر لكونها

من جملة الخيرات او الشر والمخلوقة لله سبحانه فقط

كصحيحه معوية بن وهب قال سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول ان مما اوحى الله الى موسى عليه السلام و انزل عليه في التورية اني انا الله لااله الا انا خلقت الخلق و خلقت الخير و اجريته على يدى من احب فطوبى لمن اجريته على يديه و انا الله لااله الا انا خلقت الخلق و خلقت الشر واجريته على يدى من اريده فويل لمن اجريته على يديه

و حسنة محمد بن مسلم قال سمعت اباجعفر عليه السلام يقول ان في بعض ما انزل الله من كتبه اني انا الله لااله الا انا خلقت الخير و خلقت الشر فطوبى لمن اجريت على يديه الخير و ويل لمن اجريت على يديه الشر و ويل لمن يقول كيف ذا و كيف ذا

و رواية مفضل بن عمرو عبدالمؤمن الانصاري عن ابى عبدالله عليه السلام قال الله عزوجل انا الله لا اله الا انا خالق الخير والشر فطوبى لمن اجريت على يديه الخير و ويل لمن اجريت على يديه الشر و ويل لمن يقول كيف ذا و كيف هذا

و اجاب عنها سيدنا المرتضى علم الهدى قدس سره بما ملخصه ان المراد من الخيرات والشرور المنسوبة الى الله تعالى ليس الا شدائد الدنيا من الفقر والغناء والعافية والبلاء والصحة والسقم والخصب والجدب والشدة والرخاء وهي في الحقيقة حكمة و صواب و عدل و حساب واما المعاصي والطاعات من الفسق والفجور والكذب والغرور والظلم والعدوان والشرك والطغيان فليست منسوبة الى الرحمن بدلالة ايات القران كما قال عزوجل

ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسداً من عند انفسهم ولم يقل من عند خالقهم و قال لبئسما قدمت لهم انفسهم و لم يقل من عند خالقهم و قال لبئسما قدمت لهم انفسهم ولم يقل قدمت لهم ربهم و قال فطوعت له نفسه قتل اخيه ولم يقل فطوعت له ربه و قال بل سولت لكم انفسكم ولم يقل سول لكم ربكم وقال ع وج لنبينا ﷺ قل ان ضللت فانما اضل على نفسى و ان اهتديت فبما يوحى الى ربى الى غير ذلك من الايات الصريحة فى اضافة الشرور والاعمال القبيحة الى الشيطان والعاصين و اضافة الخيرات و الحسنات الى رب العالمين

اقول لايخفى ان بعد ملاحظة اخبار المقام لايستقيم هذا الكلام لان المراد من الخيرات والشرور لوكان ما ذكره قدس سره من شدائد الدنيا لماينا سبه ثبوت الويل لمن اجرى على يديه الشر لان الشر فى الحقيقة ليس الامايكون مبعداً عن المبدء الاعلى و هذه الشدائد المذكورة من السقم والعناء والشدة والاذى والفقر والبلاء ليس فيها شرية اصلا بل هى عند اهل الذوق و اللب من عمدة علامات المحبة والقرب و لذا صارت ذخراً و شرافة للاصفياء وحبا و كرامة للاولياء و من هنا قيل البلاء للولاء و قال رسول الله ﷺ كلمنى ربى فقال يامحمد (ص) اذا احببت عبداً اجعل معه ثلثة اشياء قلبه حزيناً و بدنه سقيما ويده خالية من حطام الدنيا و اذا ابغضت عبداً اجعل معه ثلثة اشياء قلبه مسرور اوبدنه صحيحاً و يده مملوة من حطام الدنيا فاذا كانت هذه الشدائد من جملة الكرامات الالهية فكيف يناسبه ثبوت الويل للمبتلاء بها بل ينبغى التطييب والتعظيم به فعلم

مما ذکرنا ان المراد من الشرور لیس الا العقاید السخیفة و الاعمال القبیحة

فالاولی فی الجواب ان یقال ان هذه الاخبار لاتدل علی کون العبد مجبوراً فی افعاله لصحة ان یجری الله الخیر والشر علی یدی من احبه و اراد مقیداً باختیار العبد و حینئذ لو کان العبد مجبوراً یلزم الخلف و ستعرف انشاء الله زیادة تحقیق المسئلة فی محله و اما الایات المذکورة فسیأتی بیانها عند ذکر ادلة المعتزلة

الرابعة الاخبار الدالة علی ان الله خلق الناس بعضهم سعیداً وبعضهم شقیاً و وهب للسعداء قوة علی معرفته و طاعته و وضع عنهم ثقل العمل و وهب للاشقیاء القوة علی المعصیة ولم یذقهم حلاوة الطاعة فعملوا ماعملوا ولم یقدروا ان یأتوا حالا تنجیهم من عذابه فالسعید سعید فی بطن امه والشقی شقی فی بطن امه

کراویة منصور بن حازم عن ابی عبدالله علیه السلام قال ان الله تبارك و تعالی خلق السعادة و الشقاوة قبل ان یخلق خلقه فمن خلقه الله سعیداً لم یبغضه ابداً و ان عمل سوء ابغض عمله ولم یبغضه و ان کان شقیاً لم یحبه ابداً و ان عمل صالحاً احب عمله وابغضه لما یصیر الیه فاذا احب الله شیئاً لم یبغضه ابداً و اذا ابغض شیئاً لم یحبه ابداً

و فی المرفوعة عن ابی بصیر قال کنت بین یدی ابی عبدالله علیه السلام جالساً و قد سئله سائل فقال جعلت فداك یابن رسول الله من این لحق الشقاوة اهل المعصیة حتی حکم لهم فی علمه بالعذاب علی عملهم فقال ابو عبدالله

عليه السلام ايها السائل حكم الله عزوجل لايقوم له احد من خلقه بحقه فلما حكم بذلك وهب لاهل محبته القوة على معرفته و وضع عنهم ثقل العمل بحقيقة ماهم اهله و وهب لاهل المعصية القوة على معصيتهم لسبق علمه فيهم و منعهم اطاقة القبول منه فواقعوا ماسبق لهم في علمه ولم يقدروا ان يأتوا حالا تنجيهم من عذابه لانه علمه اولى بحقيقة التصديق وهو معنى يشاء ماشاء و هو سره

و رواية على بن حنظلة عن ابيعبدالله عليه السلام انه قال يسلك بالسعيد في طريق الاشقياء حتى يقول الناس ما اشبهه بهم بل هو منهم ثم يتداركه السعادة و قد يسلك بالشقي طريق السعداء حتى يقول الناس ما اشبهه بهم بل هو منهم ثم يتداركه الشقاء ان من كتبه الله سعيداً وان لم يبق من الدنيا الا فواق ناقة ختم له بالسعادة

واجيب عنها بانها منزل على العلم الالهي فانه سبحانه قد علم الاشياء قبل وجودها كعلمه بعد وجودها فلما كان عالماً في الازل بحقايق الخلق و احوالهم في الابد وبما يقع منهم من اعمال السعداء والاشقياء فحكم لهم في بطن امهم بالسعادة اوالشقاوة فالحكم الالهي في هذا المقام و امثاله عبارة عن علمه الازلي والعلم ليس علة للمعلوم كما اشير اليه انفاً فلا يلزم الجبر اصلا و يشهد على ما ذكر

ماروى الصدوق ره باسناده الى ابن ابي عمير قال سئلت ابالحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله الشقي من شقي في بطن امه والسعيد من سعد في بطن امه فقال الشقي من علم الله عزوجل وهو في بطن

امه انه سيعمل اعمال الاشقياء والسعيد من علم الله عزوجل وهو في بطن امه انه سيعمل اعمال السعداء قلت فما معنى قوله ﷺ اعملوا افكل ميسر لما خلق له قال ان الله عزوجل خلق الجن والانس ليعبدوه و لم يخلقهم ليعصوه و ذلك قوله عزوجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فيسر كلا لما خلق له فالويل لمن استحب العمى على الهدى

اقول لا اشكال في ان السعادة و الشقاوة من الامور الا نتزاعية منشا هما كون الانسان بنحو يختم امره بالفوز والفلاح او بالغي والضلال ومن خواص الا نتزاعيات انها يحمل على مناشئها بالحمل الاولى الذاتي لا تحادها في المفهوم و يظهر من ذلك ان العلم بها يحصل من العلم بمناشئها فعلمه تعالى بسعادة السعيد حاصل من علمه بان له حقيقة لازمها الفوز والفلاح و كذا علمه بشقاوة الشقي حاصل من علمه بان له حقيقة لازمها الغي والضلال كما يظهر من رواية الصدوق ره

و مما ذكرنا ظهر ان سعادة السعيد و شقاوة الشقي من لوازم الحقيقة التي هي له كما يشعر به قوله ﷺ وهب لاهل محبته القوة على معرفته و وضع عنهم ثقل العمل بحقيقة ماهم اهله والحقائق التي خلقها الله تعالى لا تتخلف عن لوازمها ابداً كما يدل عليه قوله ﷺ في رواية منصور فمن خلقه الله سعيداً لم يبغضه ابداً و قوله ﷺ في المرفوعة ولم يقدر وان يأتوا حالا تنجيهم من عذابه وحينئذ يعود الشبهة و يلزم الجبر اللهم الا ان يقال ان ترتب هذه الاثار على تلك الحقايق بنحو الاقتضاء لا العلية حتى يلزم الجبر ولا ينافيه عدم التخلف كما اشرنا اليه انفاً فافهم

ثم انه لما كان المقصود الاهم والمطلوب الاتم من الخلق والايجاد بمقتضى المحبة الالهية والارادة الذاتية معرفة الذات الاحدية بجميع الاسماء الجمالية والجلالية كما قال عز وجل في كتابه التدويني على طبق كتابه التكويني و ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى ليعرفون و في الحديث كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لكي اعرف لمؤلفه

گر نبودی معرفة عالم نبود خلقرا بی معرفت کی بود بود

حصل في دائرة الوجود ذوات متكثرة و حقائق متفننة ليصيروا مظاهر للاسماء الجمالية والجلالية ولا بنا في هذا اتحاد الاسماء مع الذات لان التكثر والتفنن ليس في حقيقة الوجود بالذات كما زعمه اهل القشر والظاهر بل الكثرة والاختلاف في الحدود والماهيات بالمراتب والاطوار كما قال عز وجل وقد خلقكم اطواراً واما في حقيقة الوجود بالذات فلا كثرة ولا افتراق ولا تفاوت ولا اختلاف كما قال عز وجل ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت

فالوجود عند ارباب الكشف والشهود واحد

بالوحدة الحقة كما قال عز وجل وما امرنا الا واحدة

وقد كتب الله لهذه الحقايق والذوات احوالا متضادة و افعالا متقابلة كتقابل الكفر والايمان والطاعة والعصيان حسب ما يقتضي سر الحقايق و و يسرها لهم كما قال ﷺ اعملو فكل ميسر لما خلق له و ذلك لان يصير كل واحد منهم مظهراً لاسمائه الحسنى جمالية اوجلالية فان المؤمن اذا كمل في ايمانه بالملكات الحميدة والاعمال الحسنة صار مظهر الاسمائه

الجمالية مثل الرحيم والهادى والحبيب و نحوها وكذا الكافر اذا كمل فى كفره بالصفات الرذيلة والافعال القبيحة صار مظهر الاسمائه الجلالية مثل القهار والجبار و ذوانتقام و ذوعذاب شديد و نحوها فالكافر و انكان فى الظاهر متمرد اعن التكاليف تشريعاً و معذباً و مبعداً عن الله الا انه فى الحقيقة عبدالخالقه فى عين تمرده ومطيع لحكم مولاه تكويناً فى عين معصيته و منعم برحمته الواسعة فى عين عذابه والله جل جلاله اقرب اليه من حبل الوريد فى عين تبعده ولذاكان بلائه حباً و عذابه عذباً كما ان طاعة المشية فى عدم السجدة لادم على رواية عبدالله بن سنان المذكورة فى اخبار المشية اسكرت ابليس اللعين و محاه الى يوم البعث الخمر المرة التى مزاجها الا تجبين حيث امتزجت مرارة التمرد واللعنة الدائمة بحلاوة الطاعة والرحمة الواسعة فلم يصح قط عن هذا المحو ولن يفيق عوض عن هذا السكر و نعم ما قيل عنه

چونكه ديدم خلق را رحمت طلب لعنت بر داشتم من از ادب

قال امير المؤمنين عليه السلام سبحان من اتسعت رحمته لاوليائه فى شدة نقمته و اشتدت نقمته لاعدائه فى سعة رحمته و قال اهل المعرفة تحت كل جمال جلال و وراء كل جلال جمال و تحت كل ايمان كفر و وراء كل كفر ايمان

آنچه كفر است بر خلق برما دين است تلخ و ترش همه عالم بر ما شيرين است

فكل سالك الى الله و عاشق ربه و طالب وجهه ولا مقصد الا هو ولا مرجع الا اليه

ما بدین جانه پی حشمت وجاه آمده‌ایم
از بدو حادثه اینجا به پناه آمده‌ایم
ره رو منزل عشقیم ز سرحد عدم
تا باقلیم وجود اینهمه راه آمده‌ایم
سبزه خط تو دیدیم به بستان وجود
بطلبکاری آنمهر گیاه آمده‌ایم

ولیس ذلك الا لماعلمت من ان الغاية المقصودة من الخلق والایجاد انما هی معرفة الحق بجمیع اسمائه الحسنی و ذلك قوله ﷺ فی روایة الصدوق ره ان الله عزوجل خلق الجن والانس لیعبدوه ای لیعرفوه ولم یخلقهم لیعصوه ای لیجهلوه غایة الامر ان طرائق العبودیة متعددة و مسالك المعرفة متفرقه و ذلك لاختلاف مراتب القابلیة والاستعداد فی مدارك نفوس العباد فعبادة کل عابد بمقدار قابلیته و معرفة کل عارف بهمعیار استعداد ماهیته و تسبیح کل مسبح بحمده بلسان حقیقته

عاقل بقوانین خرد راه تو جوید دیوانه هم اول قدم آئین تو پوید
تاغنچه نشکفتهٔ این باغ که بوید هر کس بزبانش صفت حمد تو گوید

مطرب بغزلخوانی و طوطی بطرانه

وان من شیئ الا یسبح بحمده و لکن لا تفقهون تسبیحهم انه کان حلیماً غفوراً

الخامسة الاخبار الدالة علی ان جمیع افعال العبد من الحسنة والسیئة بمقتضی الطینة التی خلقه الله عزوجل منها و ظاهرها ان العبد

مجبور على افعاله و ليس له اختيار اصلا

كما روى الصدوق قدس سره في كتاب علل الشرايع مسنداً الى ابي اسحق الليثي قال قلت لابي جعفر عليه السلام يابن رسول الله اخبرني عن المؤمن المستبصر اذا بلغ في المعرفة و كمل هل يزني قال اللهم لا قلت فيلوط قال اللهم لا قلت فيشرب الخمر قال لا قلت فيأتي كبيرة من هذه الكبائر او فاحشة من هذه الفواحش قال لا قلت فيذنب ذنباً قال نعم هو مومن و مذنب ملم قلت ما معنى ملم قال الملم بالذنب الذي لا يلزمه ولا يصر عليه قال فقلت سبحان الله ما اعجب هذا لا يزني و لا يلوط ولا يسرق ولا يشرب الخمر ولا يأتي كبيرة من الكبائر ولا فاحشة فقال لاعجب من امر الله ان الله عزوجل يفعل ما يشاء ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فمم عجبت يا ابراهيم سل ولا تستحسر و لا تستنكف فان هذا العلم لا يتعلمه مستكبر ولا مستحسر قلت يابن رسول الله اني اجد من شيعتكم من يشرب و يقطع الطريق ويخيف السبيل و يزني و يلوط و يأكل الربى و يرتكب الفواحش و يتهاون بالصلوة والصيام والزكوة و يقطع الرحم ويأتي بالكبائر فكيف هذا و لم ذاك فقال يا ابراهيم وهل يختلج في صدرك شيئي غير هذا قلت نعم يابن رسول الله اخرى اعظم من ذلك فقال ماهي يا اباسحق قال فقلت يابن رسول الله واجد من اعدائكم و من ناصبيكم من يكثر من الصلوة و من الصيام و يخرج الزكوة ويتابع بين الحج والعمرة ويحرص على الجهاد ويصل الارحام و يقضي حقوق اخوانه و يواسيهم من ماله و يتجنب شرب الخمر والزنا واللواط و سائر الفواحش فمم ذاك و لم ذاك فسره لي يابن رسول الله و

برهنه و بينه فقد والله كثر فكري و اسهر ليلي و ضاق ذرعي فتبسم الباقر عليه السلام ثم قال خذ اليك يا ابراهيم بياناً شافياً فيما سئلت و علماً مكنوناً من خزائن علم الله و سره اخبرني يا ابراهيم كيف تجد اعتقادهم قلت يابن رسول الله اجد محبيكم و شيعتكم على ماهم فيه مما وصفته من افعالهم لواعطى احدهم مابين المشرق والمغرب ذهباً و فضة لان يزول عن ولايتكم و محبتكم الى موالات غيركم والى محبتهم مازال و لو ضربت خياشيمه بالسيوف فيكم و لو قتل فيكم ولا ارتدع ولارجع عن محبتكم و ولايتكم وارى الناصب على ماهو عليه مما وصفته من افعالهم لواعطى احدهم مابين المشرق و المغرب ذهباً و فضة ان يزول عن محبة الطواغيت و موالاتهم الى موالاتكم مافعل ولازال ولو ضربت خياشيمه بالسيوف فيهم و لو قتل فيهم ما ارتدع و لارجع و اذا سمع احدهم منقبة لكم و فضلا اشمأز من ذلك و تغير لونه ويرى كراهية ذلك في وجهه بغضاً لكم و محبة لهم قال فتبسم الباقر عليه السلام ثم قال يا ابراهيم من هيهنا هلكت العاملة الناصبة تصلى ناراً حامية تسقى من عين انية ومن اجل ذلك قال الله عزوجل و قدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً و يحك يا ابراهيم اتدري ماالسبب والقصة في ذلك و مالذي قد خفي على الناس منه قلت يابن رسول الله فبينه او اشرحه وبرهنه قال يا ابراهيم ان الله تبارك وتعالى لم يزل عالماً قديماً خلق الاشياء لامن شيئ و من زعم ان الله عزوجل خلق الاشياء من شيئ فقد كفر لانه لوكان ذلك الشيئ الذي خلق منه الاشياء قديماً معه في ازليته وهويته كان ذلك الشيئ ازليا بل خلق عزوجل الاشياء كلها لامن شيئ ومما

خلق الله عزوجل ارضاً طيبة ثم فجر منها ماء عذباً زلالا فعرض عليها ولاتينا اهل البيت فقبلتها فاجرى ذلك الماء عليها سبعة ايام ثم طبقها و عمها ثم نضب ذلك الماء عنها فاخذ من صفوة ذلك الطين طيناً فجعله طين الائمة عليهم السلام ثم ثقل ذلك الطين فخلق منه شيعتنا ولو ترك طينكم يا ابراهيم على حاله كما ترك طيننا لكم انتم و نحن شيئاً واحد اقلت يابن رسول الله فما فعل بطينتنا قال اخبرك يا ابراهيم خلق الله عزوجل بعد ذلك ارضاً سبخة خبيثة منتنة ثم فجر منها ماء اجاجاً اسناً مالحاً

فعرض عليها ولا يتنا اهل البيت فلم تقبلها فاجرى ذلك الماء عليها سبعة ايام حتى طبقها و عمها ثم نضب ذلك الماء عنها ثم اخذ عصارة ذلك الطين فخلق منه الطغاة و ائمتهم ثم مزجه بثقل طينتكم ولو ترك طينهم على حاله و لم يمزجه بطينكم لم يشهدوا الشهادتين ولا صلوا ولا صاموا ولا زكوا ولا حجوا ولا ادوا امانة ولا اشبهوكم فى الصور وليس على المؤمن اكره من ان يرى صورة عدوه مثل صورته

قلت يابن رسول الله فما صنع بالطينتين قال مزج بينهما بالماء الاول والماء الثانى ثم عركها عرك الاديم ثم اخذ من ذلك قبضة فقال هذه الى الجنة ولا ابالى و اخذ قبضة اخرى و قال هذه الى النار ولا ابالى ثم خلط بينهما فوقع من سنخ المؤمن وطينته على سنخ الكافر وطينته و وقع من سنخ الكافر وطينته على سنخ المؤمن وطينته فما رأيته من شيعتنا من زنا ولواط و ترك صلوة اوصيام اوحج اوجهاد اوخيانة او كبيرة من هذه الكبائر فهو من طينة الناصب و عنصره الذى قد مزج فيه لان من سنخ الناصب و

عنصره اكتساب المآثم و الفواحش والكبائر ومارايت من الناصب ومواظبته على الصلوة والصيام والزكوة والحج والجهاد و ابواب البر فهو من طينة المؤمن و سنخه الذى قد مزج فيه لان سنخ المؤمن وعنصره وطينته اكتساب الحسنات واستعمال الخير واجتناب المآثم فاذا عرضت هذه الاعمال كلها على الله عزوجل قال انا عدل لاأجور و منصف لاأظلم و حكم لا احيف ولا اميل ولا اشطط الحقوا الاعمال السيئة التى اجترحها المؤمن بسنخ الناصب وطينته والحقوا الاعمال الحسنة التى اكتسبها الناصب بسنخ المؤمن وطينته ردوها كلها الى اصلها فانى انا الله لااله الا انا عالم السر و اخفى وانا المطلع على قلوب عبادى لااحيف ولا اظلم ولا الزم احداً الا ماعرفته منه قبل ان اخلقه

ثم قال الباقر عليه السلام اقرء هذه الاية قلت يابن رسول الله اية آية قال قوله تعالى قال معاذالله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذاً لظالمون هو فى الظاهر ما تفهمونه وهو فى الباطن هذا بعينه يا ابراهيم ان للقران ظاهراً و باطناً و محكماً و متشابهاً و ناسخاً و منسوخاً ثم قال اخبرنى يا ابراهيم عن الشمس اذا طلعت وبداشعاعها فى البلدان اهو باين من القرص قلت فى حال طلوعه باين قال اليس اذا غابت الشمس اتصل ذلك الشعاع بالقرص حتى يعود اليه قلت نعم قال كذلك يعود كل شيئ الى سنخه وجوهره و اصله فاذا كان يوم القيمة نزع الله سنخ الناصب وطينته مع ثقله و اوزاره من المؤمن فيلحقها كلها بالناصب و ينزع سنخ المؤمن وطينته مع حسناته و ابواب بره واجتهاده من الناصب فيلحقها كلها بالمؤمن افترى هيهنا ظلماً

اوعدو انا قلت لا يابن رسول الله قال هذا والله القضاء والحكم القاطع والعدل البين لايسئل عما يفعل وهم يسئلون هذا يا ابراهيم الحق من ربك فلا تكن من الممترين

قال الليثي فقلت يابن رسول الله ما اعجب هذا حسنات اعدائكم فترد على شيعتكم و تاخذ سيئات محبيكم فترد على مبغضيكم قال اى والله الذي لااله الا هو فالق الحبة و بارى النسمة و فاطر الارض والسماء ما اخبرتك الا بالحق ولا انبأتك الا بالصدق وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد و ان ما اخبرتك به لموجود في القران كله قلت هذا بعينه يوجد في القران قال نعم يوجد في اكثر من ثلاثين موضعاً في القران اتحب ان اقرء ذلك عليك قلت بلى يابن رسول الله فقال قال الله عزوجل قال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وماهم بحاملين من خطاياهم من شيئى انهم لكاذبون

و ليحملن اثقالهم و اثقالا مع اثقالهم الاية قال ازيدك يا ابراهيم قلت بلى يابن رسول الله قال ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة و من اوزار الذين يضلونهم بغير علم الاساء مايزرون اتحب ان ازيدك قلت بلى يابن رسول الله قال فاولئك يبدل سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً يبدل الله سيئات شيعتنا حسنات و يبدل الله حسنات اعدائنا سيئات و جلال الله و وجدالله ان هذا لمن عدله و انصافه لاراد لقضائه ولا معقب لحكمه وهو السميع العليم الم ابين لك امر المزج والطينتين من القران قلت بلى يابن رسول الله قال اقرء يا ابراهيم الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش

الا اللمم ان ربك و اسع المغفرة هواعلم بكم اذا نشأكم من الارض يعنى من الارض الطيبة والارض المنتنة فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى يقول لايفتخر احدكم بكثرة صلوته و صيامه و زكواته و نسكه لان الله عزوجل اعلم بمن اتقى منكم فان ذلك من قبيل اللمم و هوالمزج ازيدك يا ابراهيم قلت بلى يابن رسول الله قال كما بدئكم تعودون فريقاً هدى و فريقاً حق عليهم الضلالة انهم اتخذ و الشياطين اولياء من دون الله يعنى ائمة دون ائمة الحق و يحسبون انهم مهتدون خذها اليك يا ابااسحق فوالله انه لمن عزيز احاديثنا و باطن سرايرنا ومكنون خزائننا وانصرف و لا تطلع على سرنا احداً الا مؤمناً مستبصراً فانك ان اذعت سرنا بليت فى نفسك ومالك واهلك و ولدك

و عن على بن الحسين عليهما السلام قال ان الله تعالى خلق النبيين من طينة عليين قلوبهم و ابدانهم و خلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة و جعل ابد ان المؤمنين من دون ذلك و خلق الكفار من طينة سجين قلوبهم و ابد انهم فخلط بين الطينتين فمن هذا يلد المؤمن الكافر و يلد الكافر المؤمن ومن هنا يصيب المؤمن السيئة ومن هنا يصيب الكافر الحسنة فقلوب المؤمنين تحن الى ماخلقوا منه و قلوب الكافرين تحن الى ماخلقوا منه

وقال الصادق عليه السلام الطينات ثلاث طينة الانبياء والمؤمن من تلك الطينة الا ان الانبياء هم من صفوتها هم الاصل و لهم فضلهم والمؤمنون الفرع من طين لازب كذلك لايفرق الله عزوجل بينهم و بين شيعتهم و قال طينة الناصب من حمأ مسنون واما المستضعفون فمن تراب لايتحول مؤمن

عن ايمانه ولا ناصب عن نصبه ولله فيهم المشية.

و فى حديث اخر عن الصادق عليه السلام قال الله عزوجل لما اراد ان يخلق آدم عليه السلام بعث جبرئيل عليه السلم فى اول ساعة من يوم الجمة فقبض بيمينه قبضة من السماء السابعة الى السماء الدنيا و اخذ من كل سماء تربة وقبض قبضة اخرى من الارض السابعة العليا الى الارض السابعة القصوى فامر الله عزوجل كلمته فامسك القبضة الاولى بيمينه والقبضة الاخرى بشماله ففلق الطين فلقتين فذرأ من الارض ذروا و من السموات ذروا فقال للذى بيمينه منك الرسل والانبياء والاوصيئا والصديقون و المؤمنون والسعداء و من اريد كرامته فوجب لهم ماقال كما قال وقال للذى بشماله منك الجبارون والمشركون والكافرون والطواغيت ومن اريد هوانه و شقوته فوجب لهم ماقال كما قال ثم ان الطينتين اختلطتا جميعاً و ذلك قول الله عزوجل فالق الحب النوى فالحب طينة المومنين التى القى الله تعالى عليها محبته والنوى طينة الكافرين الذين ناؤا عن كل خير و انما سمى النوى من اجل انه نئا عن كل خير و تباعد عنه و قال الله عزوجل يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى فالحى الذى يخرج من الميت المؤمن الذى يخرج طينته من طينة الكافر والميت الذى يخرج من الحى هو الكافر الذى يخرج من طينة المؤمن فالحى المؤمن والميت الكافر و ذلك قوله عزوجل او من كان ميتاً فاحييناه فكان موته اختلاط طينته مع طينة الكافر وكان حيوته حين فرق الله جل و عز ذلك يخرج الله عزوجل المؤمن فى الميلاد من الظلمة بعد دخوله فيها الى النور و يخرج الكافر من النور الى الظلمة

بعد دخوله الى النور و ذلك قوله عزوجل لينذر من كان حياً و يحق القول على الكافرين

و قال الصادق عليه السلام ان الله خلقنا من عليين و خلق ارواحنا من فوق ذلك و خلق ارواح شيعتنا من عليين و خلق اجسادهم من دون ذلك فمن اجل ذلك القرابة بيننا وبينهم وقلوبهم تحن الينا

و عن الصادق عليه السلام ان الله خلقنا من نور عظمته ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكنوبة من تحت العرش فاسكن ذلك النور فيه فكنا نحن خلقا و بشرا نورانيين لم يجعل لاحد فى مثل الذى خلقنا منه نصيباً و خلق ارواح شيعتنا من طينتنا و ابدانهم من طينة مخزونة اسفل من ذلك الطينة ولم يجعل الله لاحد فى مثل الذى خلقنا منه نصيباً الا للانبياء و لذلك صرنا نحن وهم الناس و ساير الناس همج للناس و الى النار و غير ذلك من الاخبار المروية باسانيد متعددة تركنا ذكرها لاتحادها فى المعنى و كونها موجباً للتطويل

و قد اجيب عن هذه الاخبار بوجوه منها ماذهب اليه سيدنا الاجل علم الهدى قدس سره من وجوب طرحها كما هو مذهبه فى مطلق اخبار حاد سيما مع كونها مخالفة الكتاب والاجماع فان الكتاب والاجماع قدد لاعلى ان صدور الاعمال من العباد انما هو بالاختيار وليس فيه مدخل للطينة اصلا فوجب ردها و طرحها جداً

و فيه مضافاً الى انها اخبار مستفيضة بل متواترة ان حجية اخبار الاحاد قد ثبت فى محله فلا مجال لانكارها اصلا واما مخالفتها للكتاب والاجماع

فستعرف منعها انشاءالله

و منها ماذهب اليه ابن ادريس ره من انها اخبار متشابهة لابد من الوقوف عندها و تسليم الامر اليهم عليهم السلام و هذا و انكان اقرب من الاول واسلم عاقبة منه الا انه كونها متشابهة ممنوع لانها انما صدرت فى مقام تعليم العقايد و تصحيحها و هذا لايحصل مع التشابه كما هو واضح جداً

و منها ماصار اليه بعض المحدثين من حملها على المجاز والكناية كما يقال فى العرف لمن كثر خيره الى الناس و حسن خلقه هذا رجل قد عجنت طينته بالخير والخلق الحسن و فيه مضافاً الى كونه فى غاية البعد سيما الخبر الاول ان هذا مجرد ادعاء بلا دليل ولا شاهد له اصلا

ومنها ما اشتهر بين القوم فى تأويل هذه الاخبار و امثالها من تنزيلها على العلم الالهى بمعنى انه سبحانه لما كان عالماً فى الازل باحوال الخلق فى الابد عاملهم بهذه المعاملة كالخلق من الطينة الخبيثة و يشهد له رواية الصدوق ره كما مر فى البحث عن اخبار السعادة والشقاوة و قد عرفت ماحققنا هناك فراجع

و منها ما استكشفه بعض الافاضل من انه سبحانه لما خلق الارواح قبل خلق عالم الذر وقد احج سبحانه ناراً و كلف تلك الارواح بالدخول فيها فمنهم من بادر الى الامتثال و منهم من تأخر عنه فمن هناك جاء الايمان والكفر و لكن بالاختيار فلما اراد سبحانه ان يخلق لتلك الارواح ابداناً تتعلق بها جعل لكل نوع من الارواح نوعاً مناسباً له من الابدان كان جعل

للارواح الطيبة ابداناً مثلها وكذا للارواح الخبيثة فيكون ماضع سبحانه جزاء لذلك التكليف السابق نعم لما مزج الطينتين اثر في قبول الاعمال الحسنة و ضدها

اقول لايخفى ان هذا الوجه ايضاً لايدفع الاشكال لان الكلام ليس في خلق الابدان فقط بل الاصل والعمدة من الاشكال في خلق الارواح لان مبدء الادراكات والحركات و فاعل الاعمال والافعال ليس في الحقيقة الا الارواح واما الابدان فهي ادوات والات وليس لها دخالة في صدور الاعمال الا الوساطة المحضة في عالم المواد فقط فح لايدفع الاشكال بما استكشفه ره

فالاولى في الجواب ان يقال ان تاثير كون الارواح و الابدان مخلوقة من اعلى عليين او من اسفل سجين في صدور الاعمال الحسنة او السيئة ليس بنحو العلية حتى يلزم الجبر بل بنحو الاقتضاء كما يظهر من قوله عليه السلام فقلوب المؤمنين تحن الى ماخلقوا منه و قلوب الكافرين تحن الى ما خلقوا منه اى تشتاق قلوب كل من المؤمنين والكافرين الى الاصل الذى خلق منه فقلب الكافر وانكان بحسب الخلقة الاصلية مقتضياً و مشتاقاً الى الكفر والطغيان الا انه قادر بالوجدان على ان يرتدع عن اتباع هويه و يتبع امر مولية بجعل المانع عن مقتضى اصله الذى خلق منه ويختار الطاعة والايمان مع ان على فرض العلية ايضاً لا يلزم الجبر لامكان ان يقال ان قلب الكافر بحسب الخلقة الاصلية علة للكفر بالارادة والاختيار لا بالجبر والا ضطرار كما ستعرف زيادة توضيح في المضمار انشاءالله

السادسة الاخبار الدالة على ان الهداية من الله لامن العباد فاذا اراد الله

ان يهدى عبداً لا يمكن ان يضله احد و اذا اراد الله ان يضل عبدا يستحيل ان يهديه احد و يلزم من ذلك الجبر كما هو واضح

كراوية ثابت بن سعيد قال ابوعبدالله عليه السلام يا ثابت مالكم وللناس كفوا عن الناس ولا تدعوا احداً الى امركم فوالله لو ان اهل السموات و اهل الارضين اجتمعوا على ان يهدوا عبداً يريدالله ضلالته ماستطاعو ان يهدوه ولو ان اهل السموات و اهل الارضين اجتمعوا على ان يضلوا عبداً يريد الله هدايته ماستطاعو ان يضلوه كفوا عن الناس ولا يقول احد عمى و اخى وابن عمى و جارى فان الله اذا اراد بعبد خيراً طيب روحه فلا يسمع معروفاً الا عرفه ولا منكر الا انكره ثم يقذف الله فى قلبه كلمة يجمع بها امره

و رواية سليمان بن خالد عن ابى عبدالله عليه السلام قال ان الله اذا اراد بعبد خيراً نكت فى قلبه نكتة من نور وفتح مسامع قلبه و وكل به ملكاً يسدده و اذا اراد بعبد سوأً نكت فى قلبه نكتة سوداء و سد مسامع قلبه و وكل به شيطاناً يضله ثم تلا هذه الاية فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلامه و من يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجاً كانما يصعد فى السماء

و رواية على بن عقبة عن ابيه عن ابيعبدالله عليه السلام قال سمعته يقول اجعلوا امركم الى الله ولا تجعلوه للناس فانه ماكان لله فهوله وما كان للناس فلا يصل الى الله ولا تخاصموا الناس لدينكم فان المخاصمة ممرضة للقلب ان الله عزوجل قال لنبيه صلى الله عليه وآله انك لا تهدى من احببت و لكن الله يهدى

من يشاء و قال اقامت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ذر والناس فان الناس اخذ و اعن الناس و انكم اخذتم عن رسول الله ﷺ انى سمعت ابى عليه السلام يقول ان الله اذا كتب على عبدان يدخل فى هذا الامر كان اسرع اليه من الطير الى وكره

و رواية فضيل بن يسار قال قلت لابيعبدالله عليه السلام ندعو الناس الى هذا الامر فقال يافضيل ان الله عزوجل اذا اراد بعبد خيراً امر ملكاً فاخذ بعنقه فادخله فيهذا الامر طائعاً اوكارهاً

و رواية ابى الجارود عن ابى جعفر عليه السلام فى قوله و نقلب افئدتهم و ابصارهم يقول و ننكس قلوبهم فيكون اسفل قلوبهم اعلاها ونعمى ابصارهم فلا يبصرون الهدى

و روايته ايضاً عنه عليه السلام فى قوله تعالى والذين كذبوا بايانا صم و بكم يقول صم عن الهدى وبكم لايتكلمون بخير فى الظلمات يعنى ظلمات الكفر من يشاء الله يضلله و من يشاء يجعله على صراط مستقيم وهو رد على قدرية هذه الامة يحشرهم الله يوم القيامة مع الصابئين والنصارى والمجوس فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين يقول الله انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ماكانوا يفترون قال فقال رسول الله ﷺ ان لكل امة مجوساً و مجوس هذه الامة الذين يقولون لاقدر و يزعمون ان المشية والقدرة اليهم ولهم

و رواية علقمة بن محمد الحضرمى عن الصادق جعفر بن محمد عن ابيه عن ابائه عليهم السلام قال قال رسول الله ﷺ قال الله جل جلاله عبادى

كلكم ضال الا من هديته و كلكم فقير الا من اغنيته و كلكم مذنب الا من عصمته

و رواية ابن سعد عن الازدى عن ابى عبدالله عليه السلام قال ان الله تبارك و تعالى اذا اراد بعبد خيرا اخذ عنقه فادخله فى هذا الامر ادخالا

و رواية اليقطينى عن نباته بن محمد عن ابيعبدالله عليه السلام قال سمعته يقول ان الله تبارك وتعالى اذا اراد بعبد خيراً و كل به ملكاً فاخذ بعضده فادخله فى هذا الامر

و رواية هرون عن ابن صدقه عن ابيعبدالله عليه السلام انه قال كونوا دعاة الناس باعمالكم ولا تكونوا دعاة بالسنتكم فان الامر ليس حيث يذهب اليه الناس انه من اخذ ميثاقه انه منا فليس بخارج منا ولو ضربنا خيشومه بالسيف ومن لم يكن منا ثم حبوناله الدين لم يحبنا

و رواية احمد عن البزنطى قال قلت له قول الله تبارك و تعالى ان علينا للهدى قال الله يهدى من يشاء فقلت له اصلحك الله ان قوماً من اصحابنا يزعمون ان المعرفة مكتسبة و انهم اذا نظروا من وجه النظر ادركوا فانكر ذلك و قال فما لهؤلاء القوم لا يكتسبون الخير لانفسهم ليس احد من الناس الا وهو يحب ان يكون هو خير امن هو خير منه هؤلاء بنوهاشم موضعهم موضعهم وقرابتهم قرابتهم وهم احق بهذا الامر منكم افترون انهم لا ينظرون لانفسهم وقد عرفتم ولم يعرفوا قال ابوجعفر عليه السلام لو استطاع الناس لاحبونا

اقول لمثال هذه الاخبار كثيرة تركنا ذكرها خوفاً عن طول الكلام و كفاية المذكور فيه للمرام و انى ما وقفت من القوم على ما يكون جواباً

عنها الا ما ذكرناه في مقام الجواب عن الطائفة الثانية والثالثة من الايات و سنتلو عليك حقيقة الامر في محله انشاءالله

و تمسك المعتزلة ومن وافقهم في المسئلة بالمعقول على وجوه الاول ان افعالنا لولم تكن بقدرتنا و اختيارنا لم يكن فرق بينها و بين احوالنا الاضطرارية مثل الصحة والسقم والحياة والممات والشدة والرخاء لكونها خارجة عن قدرتنا و اختيارنا بلا خلاف واللازم باطل والملزوم مثله لوضوع الفرق بينهما بالضرورة والوجدان

الثاني ان العباد لوكانوا مجبورين في الاعمال والافعال لم يبق عندنا فرق بين من احسن الينا غاية الاحسان وبين من اساء الينا طول عمره ولم يحسن منا مدح الاول ولاذم الثاني لعدم كون الاساءة والاحسان على الفرض بالقدرة والاختيار بل بالاجبار والاضطرار فلا يستحقان المدح والذم اصلا واللازم باطل بالوجدان فالملزوم مثله بالعيان

الثالث ان بناء على الجبر يلزم ان يكون ارسال الرسل و انزال الكتب عبثاً لان الغاية المقصودة منها اليس الابيان طريقي الكفر والايمان والطاعة والعصيان و اذا كان حصولها بالجبر والاضطرار بدون القدرة والاختيار فلا يبقى فائدة في الارسال والانزال اصلا و يلزم العبث من الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً

الرابع ان بناء على مذهب المجبرة يلزم ان يكون الاوامر والنواهي قبيحة من الله لان الكافر اذا كان مجبوراً في كفره فيكون نهيه عن الكفر وامره بالايمان تكليفاً بالمحال و كذالمؤمن اذا كان مجبوراً

فى ايمانه فيكون امره بالايمان و نهيه عن الكفر عبثاً و لغواً و هو قبيح من الله المتعال كما فى امرنا بصحة الصحيح و سقم السقيم و نهينا من سقم الصحيح و صحة المريض

الخامس ان بناء على الجبر يلزم ان يكون الثواب والعقاب باطلا و يوم المعاد والحساب عاطلا لان المؤمن اذا امن بالاكراه والاجبار لايستحق شيئاً من الثواب كما ان الكافر اذا كفر بالجبر والاضطرار لايؤاخذ بخزء من العذاب بضرورة العقل والنقل كماهو واضح عند اولى الالباب فحينئذ يكون الثواب الموعود من الله عبثاً و لغواً والعقاب المتوعد به منه ظلماً و جوراً تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيراً

السادس ان بناء على قول الاشاعرة من كون الافعال منسوبة الى الله و صادرة بقدرته و ارادته يلزم ان يتصف عزوجل باوصاف رزيلة و افعال قبيحة تنزه عنها جميعاً لان الحسد والرياء والسرقة والزناء مثلا اذا لم تنسب الى فواعلها و كانت منسوبة الى الله فهو عزوجل والعياذ بالله يكون حاسداً و مرائياً و سارقاً و زانياً و يلزم اجراء الحدود عليه بمقتضى قوله الزانية والزانى فاجلد و اكل واحدة منهما مأة جلدة والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما

السابع ان الانسان قد يحصل له الترديد فى فعل بعض الاعمال و تركه فلولم يكن صدور الاعمال بقدرة العبد و ارادته بل كان منوطاً بارادة الله و مشيته لم يبق مجال لترديد العبد فى الفعل والترك اصلا فالترديد الحاصل من العبد بالوجدان دليل على ان الافعال الارادية صادرة بقدرة العبد

و ارادته وليس منوطاً بارادة الله و مشيته بالضرورة

الثامن ان العبد اذا صدر منه عمل قبيح قد يحصل له الخجلة والندامة من عمله فلو كان العبد مجبوراً في جميع الاعمال لم يكن للخجلة والندامة سبب ولا جهة اصلا فهذه الخجلة والندامة حجة قاطعة على انه ليس مجبوراً في عمله

اقول هذه زبدة ما وقفت عليه مما تمسكت به المعتزلة و من وافقهم من الادلة العقلية و انت خبير بانها قاصرة عن الدلالة على مذهبهم كما ستعرف انشاءالله مفصلا في محله

و تمسكوا بالمنقول من الكتاب بايات كثيرة وهي طوايف الاولى الايات الدالة على ان افعال العباد صادرة منهم و مستندة على انفسهم كقوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عندالله ليشتروا به ثمناً قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم و ويل لهم مما يكسبون و (س٤ـى٧٩) قوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وارسلناك للناس رسولا و كفى بالله شهيداً و (س٥ـى٨٠) قوله تعالى ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم و في العذاب هم خالدون و (س٥ـى٣٠) قوله تعالى فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من الخاسرين و (س٦ـى ١٠٤) قوله تعالى قد جائكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه و من عمى فعليها وما انا عليكم بحفيظ و (س١٠ـى١٠٨) قوله تعالى قل يا ايها الناس قد جائكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن

ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل و (س١٤ـى٢٢) قوله تعالى و قال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق و وعدتكم فاخلفتكم و ما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخى انى كفرت بما اشركتمونى من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم و (س١٤ـى٥١) قوله تعالى ليجزى الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب و (س١٦ـى٣٤) قوله تعالى فاصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون و (س٢٠ـى٩٦) قوله تعالى فقال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها و كذلك سولت لى نفسى و (س٢١ـى٩٠) قوله تعالى فاستجبنا له و وهبنا له يحيى و اصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغباً و رهباً و كانوا لنا خاشعين و (س٣٠ـى٣٦) قوله تعالى و اذا اذقنا الناس رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون و (س٣٩ـى٤١) قوله تعالى انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انت عليهم بوكيل و (س٤٥ـى١٥) قوله تعالى من عمل صالحاً فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون و معلوم ان الظاهر من استناد الافعال الى العباد بمقتضى هذه الايات و امثالها كونهم مختارين فى افعالهم والا فلا وجه للاستناد كما لا يخفى فتامل

الثانية الايات الدالة على توقف الكفر والايمان والطاعة والطغيان على ارادة العباد و مشيتهم (س١٧ـى١٩) كقوله تعالى من كان يريد العاجلة

عجلنا له فيما مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموماً مدحوراً و (س١٨-ى١٩) من اراد الاخرة و سعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا و (س١٨-ى٢٩) قوله تعالى و قل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر الخ و(س٢٥-ى٥٧) قوله تعالى قل ماسئلكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا و (س٤١-ى٤٠) قوله تعالى ان الذين يلحدون فى اياتنا لايخفون علينا افمن يلقى فى النار خير ام من يأتى امناً يوم القيمة اعملوا ماشئتم انه بما تعملون بصير و (س٧٣ ى١٩) قوله تعالى ان هذه تذكرة فمن شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا و (س٧٨-ى٣٩) قوله تعالى ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مأباً

الثالثة الايات المشتملة على الاوامر والنواهى (س٤-ى٤١) كقوله تعالى وآمنوا بما انزلت مصدقاً لما معكم و لا تكونوا اول كافر به و لا تشتروا بأياتى ثمناً قليلا و اياى فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق و انتم تعلمون ٤٣ واقيموا الصلوة و ءاتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين و (س٤-ى٥٩) قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول و اولى الامر منكم و (س١٧-ى٣١-٣٢-٣٣-٣٤) قوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم و لاتقربوا الزنا انه كان فاحشة و ساء سبيلا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن و (س٢٢-ى٧٧) قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم و افعلوا الخير لعلكم تفلحون و (س٤٧-ى٣١) قوله تعالى ياقومنا اجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم و معلوم ان الافعال

الاضطرارية يستحيل ان يجعل مورداً لاوامر الله و نواهيه

الرابعة الايات الدالة على ان الله لايامر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر (س٧ـى٢٨) كقوله تعالى و اذ افعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها ابائنا والله امرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء اتقولون على الله مالاتعلمون و (س٣٩ـى٧) قوله تعالى ان تكفر و افان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم

و انت خبير بان الله اذا لم يأمر بالفحشاء ولم يرض لكفر العباد فكلما وقع من الفحشاء و الكفر ان لابد و ان يقع بارادة العبد و رضاه بدون ارادة الله و رضاه لان عدم الامر والرضا كاشف عن عدم الارادة بلا كلام

الخامسة الايات الدالة على جزاء الاعمال خيراً بخير و شراً بشر (س١٠ـى٤) كقوله تعالى اليه مرجعكم جميعاً و عدالله حقاً انه يبدؤ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا و عملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم و عذاب اليم بما كانوا يكفرون و (س٤ـى١٢٢و١٢٣) قوله تعالى من يعمل سوأً يجزبه ولا يجد له من دون الله و ليا ولا نصيراً ومن يعمل من الصالحات من ذكرا و انثى و هو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا و (س٥٣ـى٣١) قوله تعالى ولله مافى السموات و ما فى الارض ليجزى الذين اساؤا بما عملوا و يجزى الذين احسنوا بالحسنى و (س٩٩ـى٧و٨) قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره و من الواضحات ان الفاعل

المجبور لايستحق اجراً اصلا بل يقبح المجازاة عليه بضرورة من العقول فثبوت الاجر والمجازاة بمقتضى الايات دليل على ان صدور الافعال من العباد بالقدرة والاختيار لابالجبر والاضطرار

السادسة الايات الدالة على ان الله تعالى منزه عن الظلم فلايظلم احداً ابدا و لكن الناس انفسهم يظلمون (س٧ـى٢٣) كقوله تعالى قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفرلنا و ترحمنا لنكونن من الخاسرين و (س١٠ ى٤٤) قوله تعالى ان الله لايظلم الناس شيئاً و لكن الناس انفسهم يظلمون و (س١١ـى١٠١) قوله تعالى وما ظلمناهم و لكن ظلموا انفسهم و (س١٦ ى٣٣) قوله تعالى هل ينظرون الا ان تأتيهم الملئكة اويأتى امر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون و (س٢٩ـى٤٠) قوله تعالى فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصباً ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض و منهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم و لكن كانوا انفسهم يظلمون

و انت خبير بان عدم كون مجازاة الافعال ظلماً من الله تعالى انما يصح بناء على كون العبد فاعلا بالاختيار واما بناء على الجبر فلا يصح اصلا اذ لاريب ان المؤاخذة على الفاعل المجبور ظلم بلا كلام

السابعة الايات الدالة على ان الله قد بين للناس طرق الهداية والضلاله و علمهم سبل الغواية والنجاة فمنهم من استحب الطاعة والايمان و منهم من اختار الكفر والطغيان (س٤١ـى١٧) كقوله تعالى و اما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا

يكسبون و (س٧٦-ى٣) قوله تعالى انا هديناه السبيل اما شاكراً و اما كفوراً و (س٩١-ى٧الى١٠) قوله تعالى و نفس و ما سويها فالهمها فجورها و تقويها قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها

الثامنة الايات الدالة على انكار من اناط افعاله القبيحة بمشية الله تعالى (س٦-ى١٤٨) كقوله تعالى سيقول الذين اشركوا لوشاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيئ كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا و (س١٦-ى٣٥) قوله تعالى و قال الذين اشركوا لوشاء الله ما عبدنا من دونه من شيئ نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيئ كذلك فعل الذين من قبلهم و قوله تعالى و قالوا الوشاء الرحمن ما عبدناهم مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون

التاسعة الايات الدالة على العفو والغفران (س٢-ى٥٢) كقوله تعالى ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون و (س٤-ى١١٠) قوله تعالى و من يعمل سواءاً او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيماً و (س١٥-ى٤٩) قوله تعالى نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم و (س٣٩ ى٥٣) قوله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم

و معلوم ان العفو والغفران لايتحقق الا بصدور الافعال من العباد بالقدرة والاختيار كماهو واضح بالوجدان

و تمسكوا من الاحاديث بطوايف متشتة الاولى الاخبار المانعة عن القول بالجبر

كراوية جماعة من علماء الاسلام و روايتى صاحب الفائق عن محمد بن على المكى باسناده و عن جابر بن عبدالله كما ذكرناها فى اول الكتاب و رواية الطالقانى عن احمه بن على الانصارى عن الهروى قال سمعت ابالحسن على بن موسى بن جعفر عليه السلام يقول من قال بالجبر فلا تعطوه من الزكوة ولا تقبلوا لهم شهادة ان الله تبارك و تعالى لايكلف نفساً الا وسعها ولايحملها فوق طاقتها ولا تكسب كل نفس الا عليها ولاتزروازرة و زراخرى

الثانية الاخبار الدالة على ان العبد لا يكون فاعلا ولا تاركاً الا مع الاستطاعة كراوية البزنطى عن بعض اصحابنا عن ابيعبدالله عليه السلام قال لايكون العبد فاعلا ولا متحركا الا والاستطاعة معه من الله عزوجل وانما وقع التكليف من الله عزوجل بعد الاستطاعة فلا يكون مكلفا للفعل الا مستطيعا

و رواية ابن ابى عمير عمن رواه من اصحابنا عن ابيعبدالله عليه السلام قال سمعته يقول لايكون العبد فاعلا الا وهو مستطيع وقد يكون مسطيعا غير فاعل ولا يكون فاعلا ابداً حتى يكون معه الاستطاعة

و رواية محمدالبرقى عن ابيعبدالله عليه السلام فى قول الله تعالى وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون قال اكذبهم الله فى قولهم لو استطعنا لخرجنا معكم وقد كانوا مستطيعين للخروج

و رواية اسمعيل بن جابر عن ابيعبدالله عليه السلام قال ان الله عزوجل خلق الخلق فعلم ماهم صائرون اليه و امرهم و نهاهم فما امرهم به من

شيئي فقد جعل لهم السبيل الى الاخذ به و مانهاهم عنه فقد جعل لهم السبيل الى تركه ولا يكونوا فيه اخذين ولا تاركين الا باذن الله عزوجل يعني بعلم الله

الثالثة الاخبار الدالة على كون الحسن والخير من الله تعالى والسوء والشر من العباد والمانعة عن اضافة المعاصي والذنوب اليه تعالى

كراوية ابي امامة الباهلي قال قال رسول الله ﷺ اضمنو الي اشياء اضمن لكم الجنة قالوا وما هي يا رسول الله ﷺ قال لاتظلموا عند قسمة مواريثكم ولاتجبنوا عند قتال عدوكم وامنعوا ظالمكم من مظلومكم وانصفوا الناس من انفسكم ولا تغلوا غنائمكم ولا تحملوا على الله ذنوبكم

و رواية ابي هريره قال قام رجل من خثعم الى النبي (ص) فقال يا رسول الله (ص) متى يرحم الله عباده قال (ص) يرحم الله عباده مالم يعملوا بالمعاصي ثم يقولون هي من الله

و ماروى عن النبي (ص) انه قال خمسة لاتطفى نير انهم ولا تموت ديدانهم رجل اشرك بالله و رجل عق والديه و رجل سعى باخيه الى سلطان جائر فقتله و رجل قتل نفساً بغير نفس ر رجل حمل على الله ذنبه

وما روى عن انس انه قال قال رسول الله (ص) سيكون في هذه الامة اقوام يعملون بالمعاصي و يزعمون انها من الله فاذ ارايتموهم فكذبوهم ثم كذبوهم

و روى عن النبي (ص) انه قال اتاني جبرئيل فقال يامحمد خصلتان

لاينفع معهما صوم ولا صلاة الا شراك بالله و ان يزعم عبد ان الله يجبره على معصيته

و روى عن ابى هريره انه قال كان رسول الله (ص) اذا قام بالليل الى الصلوة قال لبيك و سعديك الخير فى يديك والشر ليس اليك و روى عن حذيفة عن النبى انه قال اذا دعى بى يوم القيمة اقوم فاقول لبيك و سعديك والخير فى يديك والشر ليس اليك

و فى الدعاء عن ابى حمزه الثمالى عن السجاد عليه السلام انت المحسن ونحن المسيئون فتجاوز يارب عن قبيح ماعندنا بجميل ماعندك و فيه ايضا تتحبب الينا بالنعم و نعارضك بالذنوب خيرك الينا نازل و شرنا اليك صاعد ولم يزل ولا يزال الملك كريم ياتيك ما بعمل قبيح فلا يمنعك ذلك من ان تحوطنا بنعمك و تتفضل علينا بالائك و امثال هذه الاخبار والفقرات كثيرة تركنا ذكرها مخافة الاطناب و كفاية المذكور فى المقصود من الباب

اقول و يمكن ان يستدل على مذهب المعتزلة بالاخبار الواردة فى الاوامر والنواهى و فى جزاء الاعمال من الثواب والعقاب و فى طلب العفو والغفران عن التمرد والعصيان و فى شدائد احوال العباد فى مواقف يوم المعاد و نحن لا نذكرها هنا لان فى الذكر اطالة وفى الاشارة كفاية ولكن لايخفى ان جميع هذه الادلة المذكورة من المعتزلة لا دلالة فيها على مذهبهم من عدم تأثير ارادة الله تعالى فى افعال العباد وتفويضها اليهم اصلا كما ستعرف انشاءالله فى محله مفصلا

و تمسك الاشتراكيون اى القائلون بان المؤثر فى افعال المخلوقين

مجموع ارادتي الخالق والمخلوق على وجه الاشتراك كابي اسحق الاسفرائيني و من تبعه بمجموع ادلة الطرفين ولايخفى ان القائل بالاشتراك مضافاً الى كونه مشركاً في الافعال كما انه اخذ بادلة الطرفين فكذلك واقع في محذور الطرفين فيرد عليه مايرد على كل من الطرفين ولذا قلنا في اول الكتاب انه اسوء حالا من اخويه

اذا عرفت هذا كله فاعلم ان ادلة كل من الطرفين على التحقيق وان لم يكن فيها دلالة على ثبوت مايدعيه المستدل الا ان فيها دلالة على بطلان قول الاخر فان ادلة الاشاعرة وان لم تدل على ثبوت الجبر اصلا الا ان فيها دلالة واضحة على بطلان التفويض وكذا ادلة المعتزلة و ان لم تدل على تحقق التفويض ابداً الا ان فيها دلالة كاملة على بطلان الجبر و بعبارة اخرى ادلة كل من الطرفين لها منطوق و مفهوم فمنطوق ادلة الاشاعرة استناد الافعال الى الله تعالى و مفهومها عدم استنادها الى العباد و منطوق ادلة المعتزلة استنادها الى العباد و مفهومها عدم استنادها اليه تعالى والتعارض ليس بين المنطوقين ولا بين المفهومين لعدم التنا في بينهما بالذات بل التعارض واقع بين منطوق كل منهما و مفهوم الاخر كما لايخفى و معلوم ان الترجيح في هذه الصورة للمنطوق و مفاد المنطوقين استناد الافعال الى الله و الى العباد لكن لابنحو الاثنينية بالاستقلال للزوم الشرك وتعدد العلل في رتبة واحدة المستحيلين بالضرورة بل بنحو الوحدة والبساطة بالقاء الحدين ولحاظ المحدود في البين بدليل قوله بل امر بين الامرين و من هنا يظهر الفرق بيننا و بين الاشتراكي بعد اجتماعنا في الاخذ بادلة

العارفين حيث ان الاشتراكى زعم ان المؤثر فى صدور الافعال من العباد ما تركب من جزئين احدهما ارادة الله بمقتضى ادلة الاشاعرة والاخر ارادة العبد بمقتضى ادلة المعتزلة جمعاً بين الادلتين على زعمه

و نحن نقول ان المؤثر فى وجود الافعال امر بسيط له و جهان وجه الى الحق كما هو الحال فى جميع العلل الثانوية والاسباب المتوسطه عند ارباب الحكمة والمعرفة فباعتبار وجهه الى الحق يسمى علماً و مشية و قضاء و قدراً و ارادة سنية و غير ذلك من الاسماء المختلفة باختلاف مراتبه العالية و باعتبار وجهه الى الخلق يسمى تصوراً و تصديقا وميلاو شوقا و عزماً و جزماً و غير ذلك من الاسماء المختلفة باختلاف مراتبه السافلة واختلاف الوجهين ليس الا لاختلاف المرتبة ايضاً والا فالحقيقة واحدة بسيطة كما فى العقل والنفس

ثم لما كان الوجهان فى النظرة الاولى احدهما و هو الذى الى الحق موجبا للجبر كما قال به الاشاعرة والاخر و هو الذى الى الخلق موهما للتفويض كما ذهب اليه المعتزله اندفع الجبر بادله المعتزله والتفويض بادله الاشاعرة و علم و تحقق فى النظرة الثانيه ان المؤثر فى الافعال امر بسيط محدود بدون ملاحظة الحدود بمفاد ماصدر من معادن العلم والعرفان و مهابط الوحى والقران من قولهم عليهم السلام لاجبر ولا تفويض بل امر بين الامرين كما حققه اهل الكشف واليقين

و قد تلخص مما ذكرنا ان المستفاد من مجموع الادلة ان الحق فى مرحلة التاثير والعلية الغاء الحدود و اثبات المحدود واما عند غيرنا

فالامر بالعكس و ذلك لانهم لا ينظرون الا باحدى العينين يمنى كالاشاعرة او يسرى كالمعتزلة اوبعين حولاء التى ترى الواحد اثنين كالاشتراكى واما من ينظر بنظر وحدانى و نورالهى فلا يبصر الحدود فى الطرفين ولايرى الاالمحدود فى البين هذا مجمل الكلام فى بيان المرام و اما بيانه مفصلا فيستدعى ذكر مقدمات

الاولى ان الاصل فى التحقق و منشأية الاثار بمقتضى الادلة العقلية والبراهين القطعية المذكورة فى الكتب الحكمية هوالوجود فقط والمهية اعتبارية فانية فى الوجود الحقيقى و هو مأء الحيوة وهى كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء لاناصل ولا تحقق فيها اصلا

الثانية ان الوجود كما حققه اهل الكشف والشهود حقيقة واحدة بالوحدة الحقة ليس فيها كثرة اصلا وما يترائى فيه من مثار الكثرات فهى امالاجل تفاوت المراتب والمقامات بالتقدم والتأخر والنقص والكمال و هذه كثرة نورانية واما لاجل اختلاف القوابل والماهيات كسموات الارواح و اراضى الاشباح و هذه كثرة ظلمانية كالنور الحسى حيث ان الاختلاف الحاصل بين الانوار ليس بالذات ولا بالنوع و نحوه بل بالشدة والضعف لان المأخوذ فى النور ان يكون ظاهرا بذاته مظهراً لغيره و هذا متحقق فى جميع مراتب الاشعة والاظلة فالنور الشديد مركب من النور والشدة ولا الضعيف من النور والضعف فليس الشدة والضعف جزواً ولا شرطا للنورالا ان كلا منهما مقوم لخصوصية المرتبة فقط فالنور مطلقا بسيط وله عرض عريض باعتبار مراتبه البسيطة ولكل مرتبة ايضاً عرض

باعتبار اضافتها الى القوابل المتفرقة و كذا الوجود حقيقة بسيطة ذات مراتب بسيطة فالوجود الكامل مركب من الوجود والكمال والناقص مركب من الوجود والنقص كيف والنقص امر عدمي فلا يعقل ان يكون جزؤا ولا شرطاً للوجود و كذا التقدم والتأخر

الثالثة ان لكل مرتبة من مراتب الوجود له وجهان وجه الى مافوقه من المبادى العالية وهذا بطونه وسره و روحه وهو صرف الحقيقة المستفاضة من المبدء الاعلى والحق الاول بلا شائبة تقيد ولاحدود و بهذا الاعتبار يضاف الى الحق و يتصف بجميع اوصافه الكمالية من الجلالية والجمالية غير القدم والوجوب لاستحالة كون المعلول الا حادثاً و ممكناً بالذات و لذا يصدق عليه الاسماء الحسنى والامثال العليا

و وجه الى مادونه من المراتب السافلة و هذا ظهوره وماهيته وقالبه وهو الحقيقة المحدودة المتعينة سواء كان الحدود والقيود ايضاً كالتقيد جزءاً فى اللحاظ اوكان التقيد جزءاً والقيد خارجاً و بهذا الاعتبار يستقل بنفسه و يتصف بالشيئية و العلية و يصير موجوداً او نوعاً من الانواع حسب مايقتضيه الرتبة والمقام

الرابعة ان الفاعل على ستة اصناف لانه اما ان يكون عالماً بفعله اولا والثانى اما ان يلائم فعله طبعه فهو الفاعل بالطبع كفاعلية النفس لحفظ المزاج و افادتها الحرارة العزيزية والصحة اولا فهو الفاعل بالقسر كفاعليتها للحرارة الحمائية والمرض والهزال والسمن المفرط والاول اما ان لايكون فعله بارادته فهو الفاعل بالجبر كفاعلية النفس الصالحة

الخيرة لفعل الشر مثل اكل الامام السم المهلك و هذه الاصناف الثلثة مشتركة فى كونها مضطرة غير مختارة فى فعلها اويكون و هذا اما ان يكون علمه بفعله مع فعله بل عينه و يكون علمه بذاته هو علمه السابق بفعله اجمالا لاغير فهو الفاعل بالرضا كفاعلية النفس بالنسبة الى تصورا تها و توهماتها اولا بل يكون علمه التفصيلى بفعله سابقاً عن فعله فاما ان يقرن علمه بالداعى الزايد فهو الفاعل بالقصد كفاعلية النفس بالنسبة الى مايصدر منها بسبب البواعث الخارجة عنها الداعية لها الى تحصل اغراضها مثل المشى والكتابة و نحوها اولا بل يكون نفس العلم كافياً فى صدور الفعل منه فان كان ذلك العلم بالفعل زائداً على ذاته فهو الفاعل بالعناية كفاعلية النفس بالقياس الى ما يحصل منها بمجرد التصور مثل السقوط من الجدار المرتفع الحاصل من تخيل السقوط والا بان يكون علمه بالفعل عين علمه بذاته الذى هو عين ذاته و ذلك هو العلم الاجمالى بالفعل فى عين الكشف التفصيلى فهو الفاعل بالتجلى كفاعلية النفس لشئونها و قويها و يقال له الفاعل بالعناية بالمعنى الاعم و لذا لم يعد صنفا عليحدة و هذه الثلثة الاخيرة مشتركة فى كون كل منها فاعلا بالاختيار وانكان بعضها فى صورة الاضطرار

اذا تنورت بيت قلبك بانوار هذه المقدمات فاستعذ بالله الملك العلام من شياطين الظنون والاوهام واعلم ان كلما تكون فى دائرة الوجود فى اى مرتبة كان اواى نشاة حصل فهو بجميع اللوازم والاثار من واجب الوجود والحق المعبود والجامع لها مع هذا الاختلاف والكثرة هو حقيقة الوجود

المفاض من ذات الاحدية المسمى عند اهل الله بالفيض المقدس لابمعنى ان الذات مركب من مجموع الحقايق والاشياء حاشا وكلا سبحانه و تعالى بل بمعنى ان جميع الحقايق والماهيات والاشياء والكائنات لم يتحقق ولم يتكون الا بنوره البسيط الوحدانى النافذ فى جميع ذرات العالمين و وجوده الظلى الممتد على اقطار السموات والارضين فالوجود مع غاية الوحدة والبساطة محقق الحقايق و مذوت الذوات و مشيئى الاشياء و موجد الماهيات و ليس فيه كثرة ولا اختلاف ولا تفاوت ولا افتراق كما قال تعالى ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت فهو امر واحد ربانى كما صرح به سبحانه و ما امرنا الا واحدة و لذا قال سبحانه فى جواب السائلين عن حقيقة الروح قل الروح من امر ربى واما الاختلاف الحاصل بين الذوات والكثرة المشاهدة فى الموجودات فهى من جهة تعدد المراتب والطبقات و تفرق الحدود والماهيات وقد عرفت فى المقدمة الاولى انها امور اعتبارية لاتأصل فيها ابدا لانها فى الحقيقة اعدام والعدم لايؤثر شيئاً اصلا و انما الرياسة والاصالة فى منشاية الاثار مختص بالوجود فى اى مرتبة كان فيكون الوجود منشاء لجميع الاثار الحاصلة فى عالم الكون مطلقا ومن جملة الاثار افعال العباد حيث انها اثار حقيقة الوجود المحدودة بحدود العباد من غير اعتبار الحدود فيها والعباد عبارة عن تلك الحقيقة المعتبر معها تلك الحدود فمنشاء الافعال اولا وبالذات حقيقة الوجود وثانياً وبالعرض العباد ولا تغاير فى النسبة الا بالاعتبار فلا يكون صدورها بنحو التفويض كما زعمته المعتزلة المدعوة بمجوس هذه الامة لان التفويض لايصح الا بناء على

اصالة المهية واستقلال العباد فى الفاعلية المستحيلة عقلا و شرعاً عند اهله ولا بنحو الجبر والتسخير من الله ايضاً لعدم مايتحقق به الجبر والتسخير فى البين من الجابر و المجبور المتغايرين بالذات و سلب ارادة المجبور والمسخر و تحركه على خلاف ارادته مطابقاً لارادة الجابر ولا بتوسط العباد كالالة لعدم المغايرة بالذات الازمة فى الالية

فعلم مما ذكرنا ان جميع مافى دائرة الوجود من الارواح والاعيان المجردة والمادية والايات الافاقية والانفسية والموجودات الخارجية والذهنيته والافعال الاختيارية و غيرها فى اى نشاة واى مرتبة كان منسوبة اولا و بالذات الى حقيقة الوجود والمبدء الاعلى كما قال تعالى قل كل من عندالله و ثانياً وبالعرض الى المبادى المتوسطة والماهيات الاعتبارية التى ان هى الا اسماء اعتبر تموها و سميتموها انتم ايها المحجوبون عن حقيقة الامر و ابائكم الجاهلون السائرون فى وادى الشرك ما انزل الله بها من سلطان

و لكن لما كان حقيقة الوجود بما هو وجود خيراً محضاً ومصدرا لجميع الحيثيات الخيرية والمهية لاعتباريتها فى الحقيقة عدماً و منشاء لجميع الحيثيات الشرية صار الانسب والاولى ان ينسب الخيرات والحسنات اليه تعالى والشرور والسيئات الى العباد كما قال تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك

هذا كله بحسب الظاهر والنظر القشرى كما قيل

بما افعال را نسبت مجازى است نسب خود در حقيقة لهو و بازى است

و اما بحسب الواقع والنظر اللبي فكل موجود من وجوده و كل شأن من شأنه و كل فعل من فعله بل لاوجود الا وجوده ولا شأن الاشأنه ولا فعل الا فعله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهو مع كل شيئ لابمقارنة و غير كل شيئ لابمزايلة و هو قائم على كل نفس و هو على كلشيئ محيط

ثم ان علمه تعالى بالاشياء كما ذكره صدر المتالهين سره في بعض مؤلفاته لماكان ذامراتب متعددة صح ان يعبر عنها باسماء مختلفة كالعناية والقضاء والقدر و نحوها

اماالعناية و قد يعبر عنها بالمشية فهي علمه تعالى بالاشياء في مرتبة ذاته علماً مقدساً عن شوب الامكان والتركيب فهي عبارة عن وجوده تعالى بحيث ينكشف له الموجودات الممكنة موجباً لوجودها في الخارج على احسن وجه و اتم نظام بدون افتقار الى قصد و روية

و اما القضاء و قد يعبر عنها بام الكتاب فهي عبارة عن صور علمية لازمة له تعالى بلاجعل و تأثير و تأثر فهي قديمة بالذات باقية ببقاء الله

و اما القدر و يقال له كتاب المحو والاثبات فهو عبارة عن وجود صور الموجودات في عالم النفس السماوي على طبق موادها الخارجية الواجبة بعللها و اسبابها الازمة بامكنتها و اوقاتها

واما اللوح والقلم فهما محل القضاء والقدر الاول على سبيل القبول والانفعال والثاني على سبيل الفعل والحفظ فالقلم عبارة عن الجواهر القدسية

والانوار القاهرة المترتبة في الشرف و الكمال و شدة النورية على حسب ترتبها في القرب منه تعالى المنزهة عن الزمان والتجدد والحدثان بحيث كانت لشدة اتصاله بعضها ببعض مع تفاوت مراتبها في الشرف والنورية كانها موجود واحد بل هي واحدة كثيرة كما اشير اليه في قوله تعالى والقلم و ما يسطرون حيث اتى بصيغة جمع العقلاء اشارة الى وحدته الجمعي فهي باعتبار كونها مصورة الصور المعلومات و ناقشة في قوابل الصور نقوش الاجرام تسمى بالقلم كما انها باعتبار تأثير كل منها فيما دونها تأثير الكلام الامري في المخاطب تسمى بالامر و معلوم ان هذه الانوار كما ان ذواتها موجودة بوجوده تعالى لفنائها عنده و نوريتها التي لاتزيد على ذواتها لمعة من لمعات وجهه و جماله فكذلك تأثيراتها التي قاهريتها ظل لقاهريته تعالى

و اما اللوح المحفوظ فهو عبارة عن النفس الكليه الفلكية سيما الفلك الاقصى لان كلما كان في العالم او سيكون ثابت مكتوب في النفوس الفلكية لانها عالمة بلوازم حركاتها كما حقق في محله فكما يرتسم بالقلم في اللوح الحسي نقوش حسية فكذلك ارتسمت من عالم العقل صورة معلومة مضبوطة لعللها و اسبابها و لوازمها على وجه كلي في النفس الكليه التي تسمى بقلب العالم والانسان الكبير عند الصوفية

واما لوح المحو والاثبات فهو عبارة عن النفوس الجزئية المنطبعة في النفس الكلية متشخصة باشكال و هيئات مقدرة مقارنة لاوقات معينة على طبق مايظهر في المادة الخارجية و هذه بجزئيتها متبدلة متجددة

مختلفه بعضها ببعض في التعينات والتشخصات بخلاف النفس الكلية فانها مضبوطة مستمرة على نسق واحد كالكبريات الكلية وكل منهما كتاب مبين كما قال تعالى ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين الا ان الاول لوح محفوظ لاتغير فيه اصلا و يسمى بام الكتاب والثاني لوح المحو والاثبات متبدلة في التشخصات كما قال تعالى يمحو الله مايشاء و يثبت و عنده ام الكتاب فهذه النفوس هي الواح قدرية فيها المحو والاثبات والتردد والتبدل في الاطوار والحركات و لذا وجب توسط الارادة في صدور الافعال من نفوس العباد اذ بدون الارادة لايتحقق الترديد ولا العزم اصلا بل يكون صدور الافعال منها مثل حركاتها الاضطرارية على نحو الايجاب والاضطرار بدون فرق بينهما و هذه خلف لوضوح الفرق بينهما بالوجدان واما مع كون العبد ذا ارادة في افعاله فله ان يتردد بين فعلها و تركها ثم يعزم على ماشاء الله منهما في علمه الازلي اويختار ما اختاره الله سبحانه في قضائه و قدره و يتحقق ماجرى به القلم في اللوح المحفوظ بمقتضى الحكمة القضائيه والمصلحة القدرية في حقه.

و من الواضح ان الترديد دليل الاختيار ولذا قد تحصل له الندامة اذا التفت الى ان فعله لم يكن موافقاً لشأنه كما قيل

اينكه فردا اين كنم يا آن كنم اين دليل اختيار است ايصنم

وين پشيمانى كه خوردى ازبدى زاختيار خويش گشتى مهتدى

وقد عرفت في المقدمة الرابعة ان الفاعل بالارادة مطلقا فاعل بالاختيار غايه الامر ان النفس الانساني بالنسبه الى العقايد والتصديقات الذهنيه

فاعل بالرضا و بالنسبة الى الاعمال والحركات الخارجية فاعل بالقصد ولا ينافي هذا كون الحاصل بالارادة موافقا لما شاء الله و جرى به القلم في اللوح المحفوظ من قضائه و قدره و انكان مما لابد من وقوعه اذ العبد كما ان وجوده ظل لوجوده تعالى فكذلك ارادته ظل لارادته وفاعليته واختياره من اختياره سبحانه والا لم يتحقق العبودية ولم يظهر الربوبية ولذا قيل ان العبودية جوهرة كنهها الربوبية و لهذا السر قيل ان الانسان مختار في صورة المضطر فكما ان فعل الواجب تعالى صادر منه باقتضاء ذاته الاحدية بتمام الاختيار ومع ذلك يستحيل عدم صدوره لاستحالة البخل في مبدء الفيض و لزوم تعطيل الذات عن الصفات المساوق في المقام لسلب الشيئ عن نفسه فكذا فعل العبد صادر منه باقتضاء طينته و حقيقته بالارادة والاختيار على حسب ماتعلق به المشية الالهية و جرى به القضاء والقدر و مع ذلك لايصير جبراً لعدم مايتحقق به الجبر كما ذكرناه ولذا قال سيد الموحدين و سند العارفين امير المؤمنين عليه سلام الحق المبين في دعاء الكميل ولا حجة لي فيماجرى على فيه قضائك والزمني حكمك و بلائك ولا يلزم الشرك في الايجاد ايضا كما زعم الاشاعرة لعدم المغايرة في البين كما عرفت

وقد ظهر من جميع ماذكرناه ان المؤثر في وجود الافعال امر بسيط و حداني له وجهان وجه الى الله و وجه الى العبد فباعتبار الاول يكون الافعال منسوبة اليه تعالى و يصح معنى قولهم لامؤثر في الوجود الا الله و قوله تعالى ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء و تهدي من تشاء و فريقاً

هدى وفريقا حق عليهم الضلالة وانما يريد الله ليعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون و ختم الله على قلوبهم والله خلقكم وما تعملون وما رميت اذ رميت و لكن الله رمى وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله وقوله لايكون شيئ في الارض ولا في السماء الا بهذه الخصال السبع الخ و قوله انا خالق الخير والشر فطوبى لمن اجريت على يديه الخير و ويل لمن اجريت على يديه الشر الخ و قوله ان الله تبارك و تعالى خلق السعادة والشقاوة الخ و باعتبار الثاني يستند الافعال الى انفس العباد و يتحقق كونها صادرة بالارادة والاختيار و يترتب عليها كل مايلزمه من الاثار و يتضح معنى قوله تعالى فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتل فاصبح من الخاسرين و فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم و قل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر الى اخر ماذكرنا سابقا من الايات والاخبار الدالة على كون العبد فاعلا بالاستطاعة والاختيار

و قد بقي في المقام شبهات لابد من ذكرها و بيان دفعها الاولى ان مقتضى ما قررتم ان الافعال كلها منسوبة الى الله تعالى و لو بوجه وحينئذ يلزم ان يوصف هو سبحانه بجميع الاوصاف الرزيلة مثل الظالم والسارق والزاني والكاذب و امثالها و هذا باطل بضرورة من الدين والعقل و يدفعها ان كل فعل تحقق في عالم الكون

قد يلاحظ بما هو اثر في حد نفسه ومقام ذاته بدون ملاحظة العوارض والحيثيات الخارجة عن ذاته فلا يصدق عليه اسم و مفهوم و لا يعنون بعنوان خاص الا بعنوان ذاته مثل كونه فعلا مطلقا واثراً محضاً و حينئذ

يصح بل يجب اسناده الى الله بمفاد قوله تعالى قل كل من عند الله

وقد يلاحظ باعتبار العوارض و الحيثيات الخارجية حقيقية كانت كملاحظة فاعل الفعل و محل وقوعه و زمانه و نتائجه و اثاره او اعتبارية عرفية كملكية متعلقه للفاعل اولغيره اوشرعية ككونه عبادة او معصية و بهذا الاعتبار يصدق عليه مفاهيم متفرقة و عناوين مختلفة فيكون نسبتها الى العبد اولى من نسبتها الى الله لكونها اقرب الى الاعتبار وابعد من الحقيقة فيكون اقرب الى الشر لان منشائه العدم والاعتبار امر عدمى وابعد من الخير لان سببه الوجود والحقيقة امر وجودى و نسبة اللحاظ الاول الى الثانى كنسبة الوجود الى الماهية مثلا اذا فرضنا ان الراضى قطع رأس القاضى فقتله فاخذ الراضى السيف و تحريكه كيفما شاء و اراد وكذا تأثير السيف بالقطع فى حد ذاته اثر وجودى وخير محض منسوب الى الله واما باعتبار كون هذا الاثر موجبا لسلب استعداد الحيوة من جسد القاضى وسبباً لزهوق روحه يسمى قتلا و باعتبار وقوع هذا الاثر فى غير موضعه لعدم موجبات القتل فيه فرضاً يسمى ظلماً و باعتبار كونه منهيا فى نظر الشارع يسمى معصية وحراماً فهذه الاعتبارات لكونها حدوداً عدمية شرور منسوبة الى الفاعل الناقص المحدود وهو الراضى دون الفاعل التام المطلق و هو الله فهو سبحانه و ان كان مؤثرا حقيقيا ويسمى فاعلا مطلقاً لكن لايسمى قاتلا ولا ظالماً ولا عاصياً

و بما ذكرنا يظهر مافى اخبار المشية والقضاء والقدر المذكورة فى ادلة الاشاعرة من انه تعالى شاء واراد و نهى ولم يحب و لم يرض وكذا

امر واحب و رضى ولم يشاء ولم يرد حيث انه تعالى شاء و اراد اكل آدم من الشجرة مثلا باللحاظ الاول و نهى عنه ولم يرض به و لم يحبه باللحاظ الثانى و كذا احب و رضى وامر بسجدة ابليس لادم باللحاظ الثانى ولم يشائها ولم يردها باللحاظ الاول

و بهذا البيان يتضح ايضا حل الاشكال المعروف الناشى من وجوب الرضا بقضاء الله عقلا و نقلا و ان الرضا بالكفر كفر كما ورد فى الحديث فان مقتضاهما ان الرضا بكفر الكفرة واجب لانه قضاء الله و حرام لانه كفر والرضا بالكفر كفر و حرام

و تحرير الحل ان حصول الكفر فى الكافر بمقتضى طينته الخبيثة كحصول الايمان فى المؤمن بمقتضى طينته الطيبة اثر وجودى باقتضاء ذاتى حاصل بقضاء الله اذ لولا القضاء لما حصل الاقتضاء ولذا يجب به الرضا فهذا باعتبار انه اثر مطلق مع قطع النظر عن الحدود والقيود واما باعتبار ان الكفر عدم الاذعان بالمعبود و حجب القلب عن درك الشهود و هذا نقض للعبودية فلا يليق للعبد بما هو عبد فالرضا به يكون كفراً و حراماً فاذا انحل الاشكال بهذا المقال فلا يبقى مجال الى قيل وقال

تارة بان الكفر مقضى والرضا به كفر و منهى و ليس بقضاء حتى يجب به الرضا كما زعمه الشيخ الغزالى والامام الرازى و استصوبه جماعة من الصوفية كصاحب العوارف والمولى الرومى و تبعهم صدر المتالهين قدس سره و اخرى بان الكفر من حيث هو قضاء الله طاعة ولا من هذه الحيثية كفر كما قال به المحقق الطوسى فى النقد المحصل بعد تزييفه القول الاول

بان قول القائل رضيت بقضاء الله لايعني به رضاه بصفة من صفات الله بل انما يريد به رضاه بما يقتضي تلك الصفة وهو المقضى

و ثالثة بان الرضا بالقضاء بما هو قضاء بالذات او بالمقضى بما هو مقضى بالذات واجب والكفر ليس هو بمقضى بالذات ولم يتعلق به القضاء بالذات بل انما تعلق به القضا بالعرض فكان مقضيا من حيث هو لازم لخيرات كثيرة لا من حيث هو كفر فاذن انما يجب الرضا به من تلك الحيثية لامن حيث هو كفر و انما الكفر الرضا بالكفر بما هو كفر لا بما هو لازم خيرات كثيرة لنظام الوجود كما حققه سيد المحققين بعد ان زيف القول الاول بان اعتبار المقضى بما هو مقضى راجع الى اعتبار القضا و لا من هذه الحيثية ليس اعتباراً للمقضى

و قال صدر المتألهين سره في تصحيح القول الاول ما حاصله ان القضاء كالحكم قد يراد منها نفس النسبة الحكمية الايجابية او السلبية ولا شبهة انها من باب الاضافة و قد يراد منها صورة علمية يلزمها تلك النسبة و هكذا العلم والقدرة والارادة فعلى الاول لاطائل في الفرق بين القضاء والمقضى لان كون القضاء مرضيا بها يوجب كون المقضى مرضياً به لان المعاني النسبية تابعة لمتعلقاتها فاذا قيل هذا القاضي او الحاكم قضى اوحكم قضاء شرا اوحكما باطلا فالمراد منه المقضى ولا معنى لكون القضاء بهذا المعنى خيراً والمقضى شراً

واما على الثاني فيصح الفرق بينهما و يستقيم القول بان الرضا بالقضا واجب لا بالمقضي لكون القضاء بناءاً على هذا عبارة عن وجود صور الاشياء

فى عالم العلم الالهى على وجه مقدس عقلى خال عن النقايص والشرور اذ لاريب ان كلما وجد فى هذا العالم الكونى كما ان له وجود مشوب بالنقايص والشرور فى هذا العالم الادنى فكذاله وجود خال عن الاعدام والظلمات فى عالم العلم الالهى بوجه هو مبدء تكونه فى هذا العالم الادنى فيكون المقضى عبارة عن وجودها فى هذا العالم الادنى مشوباً بالنقايص والشرور و لذا قال تعالى قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق حيث جعل الشر فى ناحية الخلق

اقول لايخفى على العارف المتأمل ان الفرق بين العالمين لاينفع فى المقام اذ كما ان الوجود الواحد الظلى نازل من العالم الا على الى العالم الادنى وهو مع وحدته و بساطته متكون فى كل من العوالم الناشئة عن مراتب الوجود بدون انثلام الوحدة فحينئذ يكون قضاء الله ايضاً كذلك بناء على كونها عبارة عن وجود صور الاشياء فان ما فى عالم الكون الدنيوى عين مافى عالم العلم الالهى فاذا كان الاول عبارة عن القضاء فالاخر ايضاً هو القضاء فينقل الكلام على كل منهما فى حده

الثانية ان المعاصى والطاعات والسيئات والحسنات اذا كانت بعلم الله و ارادته و مشيته و قضائه و قدره بحيث يمتنع التخلف عنها كما هو مقتضى ما قررتم فلا يكون وجه فى ارسال الرسل و انزال الكتب وابلاغ الاوامر والنواهى فان الفعل اذا خرج عن حد الامكان و صار فى حيز الوجوب او الامتناع فالتكليف به قبيح بالوجدان

و جوابها ان ايجاب الشيئ يستلزم ايجاب مقدماته و محققاته و الا

يلزم الخلف لان مقدمة الشيئ وما لايتحقق الشيئ الا به اذا لم يجب لم يوجد و اذا لم يوجد فيصير الشيئ الواجب ممتنعاً و معلوم ان الكفر والايمان والطاعة والعصيان لايتحقق الا بعد بيان التكليف كماهو فى غاية الوضوح اذ كما ان الطاعة عبارة عن امتثال الامر و انتهاء النهى فكذلك العصيان عبارة عن خلافها فاذا كان المعاصى والطاعات واجبة بقضاء الله و قدره فلابد ان يكون تبليغ الاحكام ايضاً كذلك و لوجوب التبليغ يجب انزال الكتب و ارسال الرسل ايضاً و لما ذكرنا قال صدر المتألهين فى جواب هذه الشبهة ان الاوامر والنواهى وقوعها ايضاً من القضاء والقدر

الثالثة ان بناء على ماحصل من التحقيق من ان طة اعمال العباد صالحة كانت اوطالحة بعلم الله و مشيته و اذنه و ارادته و قضائه و قدره لايبقى مجال لمؤاخذة العاصين ولا استحقاق الثواب للمطيعين لاستلزام الاول ظلماً والثانى عبثاً و كلاهما فى غاية الامتناع عن الله سبحانه

اقول هذه الشبهة انما نشأت من قياس رضى الخالق و سخطه برضى المخلوق و سخطه بزعم ان الامراء والحكام كما انهم يرضون ممن يطيعهم و يحسن خدمتهم و يعطون له اجراً جزيلا فى قبال طاعتهم و حسن خدمتهم و يسخطون لمن يعصيهم و يخالف اوامرهم و نواهيهم و يعذبونه بانواع العذاب من القتل والضرب والحبس و نحوها اسكاناً لشدة سخطهم واطفاء لنير ان غضبهم و تشفيا لقلوبهم فكذلك الخالق جل جلاله انما يرضى ممن يطيعه و يحسن عبادته و يعطى له اجراً جزيلا و ثواباً جميلا و يسخط لمن يعصيه و يصر فى معصيته و يعذبه عذاباً اليماً الى ان يسكت سخطه و

يسكن غضبه

ولعمري ليس هذا الا قياس فسيد و خيال كسيد ما حصل الا من فتور الفهم والنظر و قصور العقل والبصر كزعم النملة ان لله زبانيتين يفعل بهما مايشاء و يريد واما الحق الحقيق والنهج الدقيق عند اهل الكشف واليقين والراسخين فى حقايق يوم الدين ان جميع التكاليف الالهية للعباد كنحود ساتير الاطباء والدكاتر لمن يعالجونه و يسعون فى برء امراضه و صحة مزاجه فالعلوم والعقايد الصحيحة بمنزلة الغذاء والاعمال الصالحة بمنزلة الدواء وكما ان جميع ماحصل من الاغذية والادوية فى المزاج عايدة الى نفس المريض ولادخل بها الى الطبيب اصلا فكذا الاثار المترتبة على الاعمال و نتايجها عايدة الى العامل بها كما قال تعالى فى سورة الجاثية آية ١٥ من عمل صالحاً فلنفسه و من اساء فعليها ولا تعود الى الله سبحانه ابداً فلا تنفعه طاعة المطيعين ولا تضره معصية العاصين فجزاء الاعمال المعبر عنه فى لسان الشرع بالثواب والعقاب عبارة فى الحقيقة عن اثارها الواقعية الحاصلة للنفس بل رقائقها المعنوية الثابتة فى عالم النفس ومعاولاتها السائرة فى عوالم الكون راقية الى اشد مراتب الوجود و اقويها واكملها واعليها مجردة عن العوارض المادية و رديها متشكلة باشكال مختلفة و هيئات متنوعة مما يشتهيه الانفس و تلذالاعين كجنات و عيون و حور و قصور و ولدان مخلدين كانهم لؤلوء مكنون و فواكه و لحم طير مما يشتهون

اومما يتنفر عنه الطباع و يتألم بدالنفوس كحيات و عقارب واغلال

و سلاسل و زقوم و جحيم و غلسلين من حميم حسب مايقتضى مدارك النفوس و قويها و فجورها و تقويها وانكانت مختفية عنها ما دامت النفوس فى نشأة الدنيا محجوبة و بعلائقها مربوطة و برزائلها مخلوطة فاذا زال الحجاب و ارتفع النقاب و كشف الغطاء و ظهر اللباب بالموت الارادى اوالطبيعى يرى كل نفس ماعملت من خير محضراً وبدالهم سيئات ماعملوا و حاق بهم ماكانوا به يستهزئون فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره و من يعمل مثقال ذرة شراً يره كما يشهد بذلك غيرواحد من الايات والاخبار الدالة على تجسم الاعمال

فمن الايات مافى سورة البقرة آية ٢٥ و بشر الذين امنوا و عملوا الصالحات ان لهم جنات تجرى من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذى رزقنا من قبل اه فكل ثمرة رزقها الله المؤمن فى الاخرى عين العمل الذى رزقه الله فى الدنيا ولو صوله الى غاية كماله المطلوب هناك سمى ثمرة وآية ١١٠ و اقيموا الصلوة و اتوا الزكوة وما تقدموا لانفسكم تجدوه عندالله ان الله بما تعملون بصيراه فالانسان كلما عمله فى الدنيا يجد عينه عند لقاء الله بظهور هذه الاية وكما صرح به ايضاً فى سورة الكهف آية ٤٩ و وجدوا ماعملوا حاضراً ولا يظلم ربك احداً

و منها ما فى سورة ال عمر ان آية ١٨٠ ولا يحسبن الذى يبخلون بما اتيهم الله من فضله هو خيراً لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة الخ كما عن الصادقين عليهما السلام ما من احد يمنع زكوة ماله شيئاً الا جعل الله ذلك يوم القيمة ثعباناً من نار مطوقاً فى عنقه ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب

و هو قول الله تعالى سيطوقون ما بخلوا به

و منها ما فى سورة التوبة آية ٣٥ يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم و جنوبهم و ظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون

و من الاخبار ما فى الكافى بسنده الى سويد بن غفلة قال امير المؤمنين سلام الله عليه ان ابن آدم اذا كان فى آخر يوم من ايام الدنيا و اول يوم من الاخرة مثل له ماله و ولده و عمله فيلتفت الى ماله فيقول والله انى كنت عليك حريصا شحيحا فمالى عندك فيقول خذ منى كفنك قال فيلتفت الى ولده فيقول والله انى كنت لكم محباً و عليكم محامياً فمالى عندكم فيقولون نؤديك الى حفرتك فنواريك فيها قال فيلتفت الى عمله فيقول والله انى كنت فيك ازاهداً و انكنت على لثقيلا فمالى عندك فيقول انا قرينك فى قبرك و يوم نشرك حتى اعرض انا و انت على ربك فانكان لله و ليا اتاه اطيب الناس ريحاً و احبهم منظراً و احسنهم رياشاً فيقول ابشر بروح و ريحان و جنة نعيم و مقدمك خير مقدم فيقول له من انت فيقول انا عملك الصالح ارتحل من الدنيا الى الجنة و انه ليعرف غاسله ويناشد حامله ان يعجله الى ان قال و اذا كان لربه عدواً فانه يأتيه اقبح من خلق الله زياً و انتنه ريحاً فيقول ابشر بنزل من حميم و تصلية جحيم وانه ليعرف غاسله و يناشد حامله ان يحبسوه و عن الصادق فيقول له ياعبدالله من انت فما رأيت شيئاً اقبح منك فيقول انا عملك السيئى الذى كنت تعمله و رأيك الخبيث الحديث

و ما نقل مستفيضاً عند الفريقين عن قيس بن عاصم قال وفدت مع جماعة من بنى تميم على النبى فقلت يا نبى الله عظنا موعظة ننتفع بها فانا قوم نعبر نغيره فى البرية فقال رسول الله يا قيس ان مع العز ذلا وان مع الحياة موتاً وان مع الدنيا آخرة و ان لكل شيئ رقيباً و على كل شيئ حسيباً وان لكل اجل كتاباً و انه لابد لك ياقيس من قرين يدفن معك وهو حى و تدفن معه و انت ميت فان كان كريماً اكرمك و ان كان لئيماً اسلمك ثم لا يحشر الا معك ولا تحشر الا معه ولا تسأل الا عنه فلا تجعله الا صالحاً فانه ان صلح انست به و ان فسد لا تستوحش الا منه و هو عملك فقلت يا نبى الله احب ان يكون هذا الكلام فى ابيات من الشعر نفتخر به على من يلينا من العرب و ندخره فامر النبى من يأتيه بحسان فاستبان لالى القول قبل مجيئه فقلت

تخير خليطاً من فعالك انما ... قرين الفتى فى القبر ما كان يفعل
و لابد بعد الموت من ان تعده ... ليوم ينادى المرء فيه فيقبل
فان تك مشغولا بشيئ فلا تكن ... بغير الذى يرضى به الله تشغل
فلن يصحب الانسان من بعد موته ... و فى قبره الا الذى كان يعمل

اللهم انا ستعيذك من شرور انفسنا و سيئات اعمالنا و نسئلك ان ترزقنا عملا صالحاً ورفيقاً حسناً فى الدارين بحرمة محمد و اله الطاهرين صلواتك عليهم اجمعين هذا اخر ما تعلقت بتحريره المشية والارادة السنية بيد عبده المسيئ مرتضى بن رضى الموسوى المشهير بمستنبط غروى عفى عنها و الحمد لله رب العالمين

فى سنة ٥٠ هـ ق

ص	س	غلط	صحيح
١	١٢	جمهوز	جمهور
٣	١٧	ا والحسن	ابوالحسن
٤	١٦	جنيثية	خبيثة
٥	١٧	فى كلب	فيه كلب
٦	١١	لحال	الحال
٧	١٩	الايكون	لايكون
٧	١١	هذا القاعدة	هذه القاعدة
٨	١٧	ايشاء	يشاء
٩	١	مستعرف	ستعرف
٩	٣	الاختيار	اختيار
١٠	٩	وءانذرتهم	ءانذرتهم
١٠	١٨	بات	بان
١٠	١٨	الحوالف	الخوالف
١١	١١	العلامه	العلامة
١١	١٢	علامه	علامة
١٣	٦	العام	انعام
١٣	١٨	الولا	لولا
١٤	٥	يعفل	ل
١٥	٥	يضلل	يضل
١٥	١٧	بالفهر	بالقهر
١٦	٧	يتشبث	يتشبث
٢١	٨	محدثه	محدثة
٢٢	١٠	الازمه	الازمة
٢٢	١٤	التريبب	الترتيب
٢٣	٩	رعمه	زعمه
٢٤	٢	وظيفة	وظيفة
٢٦	١٠	هدايكم	هديكم
٢٨	١١	الغرايض	الفرايض
٣٠	٢	قضاء	قضى
٣٢	٤	اخية	اخيه
٣٨	١٢	بهمعيار	بمعيار
٤٠	١٦	مالذى	ماالذى
٤١	٥	لكم	لكنتم
٤١	١٩	خياته	خيانة
٤٣	٥	تاخذ	تؤخذ
٤٦	٦	﴿	خلقنا من
-	٧	مكنوبة	مكتوبة
-	١٥	حاد	آحاد
-	١٦	مخالفة الكتاب	مخالفة للكتاب
٤٧	١٧	احج	اجج
٤٨	١	الجنيثة	الخبيثة
-	٧	الاءهال	الاعمال
-	١٨	بحشب	بحسب
٤٩	٩	منكر	منكراً
-	١٥	للاسلامه	للاسلام
٥٠	١٤	يخشر	يحشر
٥١	٧	نى هذا الامر	فى هذا الامر
-	١٥	القومه	القوم
٥٢	٧	لوضوع	لوضوح
-	-	بالضردرة	بالضرورة
-	١٤	اليس	ليس
-	٢٠	كذا المؤمن	كذا المؤمن
٥٣	٧	بجزء	بجزء
٥٥	٣	فاخلقتكم	فاخلقتكم
-	٨	ينصروا	يبصروا
٥٧	٦	تشكووا	تشكروا
٥٩	٩	الوشاء	لوشاء
٦٠	٣	احمه	احمد
-	٦	لاتزز	لاتزر
-	١٣	مسطيعا	مستطيعا
٦٢	١٤	العفور	العفو
٦٤	٧	لاالسماء	الاسماء
-	١٣	موجبا	موهما
-	١٥	النظرة الثانيه	النظرة الثانية
٦٦	٧	بهذا الاعتبار	بهذا الاعتبار
٦٩	٥	الازمة	اللازمة
٧٠	١٨	الازمة	اللازمة
٧٢	١	مختلفه	مختلفة
-	١٠	وهذه	و هذا
-	١١	بينهما	بينهما
٧٤	١٥	الرزبله	الرزيلة
٧٦	٥	وبهذا البيان	و بهذا البيان
٧٧	١٢	لاشهة	لاشبهة
٨١	١٧	الذى	الذين
٨٢	١٣	اطيب	اطيب
٨٣	٣	نعبر نغير	نعبر نغير خل
-	١١	لالى	لى
-	١٦	ستعينك	نستعينك
يشت جلد	٦	الاعتاف	الاعتساف

2052

رجاء

من القارئ الكريم عند ملاحظة ما في هذا الكتاب بل
في كل كتاب أن يطرد عن نظره الشريف جميع ما يحجب
عن درك الحقايق من الاغراض الشخصيه والحيثيات،
الرتبية والهوسات الشأنية والانانيات الوهمية
حتى يصل بعون الله الى الحق بصراط الانصاف
و يسلم عن غواية الشطط والاعتساف و
نسئل الله التوفيق لما يحب ويرضى

WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
JULY-AUG. 1993

Princeton University Library
32101 099894220

(NEC)
BP166
.3
.M878
1960z
c.2